

الرسالة

مجلة أسبوعية للفكر والعلم والفن

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - عابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

برل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والموارد

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نحو المدة ٢٠ ملياً

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٨٦٨ « القاهرة في يوم الاثنين ٣ من شهر جادى الأولى سنة ١٣٦٩ - ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٠ - السنة الثامنة عشرة »

على محمود طه

هباته من شعره

للاستاذ أنور المعداوى

— ١٠ —

التجاوب بينهما منكمساً على صفحة الشعور المعبر عنه في كلمات .
وقلت لك مرة ثالثة إن الذين لم يعرفوا هذا الشاعر ولم يطلعوا
على دخائل نفسه وآفاق حياته ، يستطيعون إذا لم يزعوا عن
الألفاظ أثوابها النفسية ، أو يجردوا الأخيلة من ظلالها المعنوية ،
أو يفرقوا بين الصور وبين وشائج اللحم والدم ... يستطيعون إذا
لم يلجأوا إلى شيء من هذا كله أن يعرفوه حق المعرفة من خلال
شعره ! لقد كان شعره مرآة صادقة لهذا الوجود الذى أحاط به ،
لأنه كان إنساناً صادقاً في صحبته لتلك المرأة : لم يحاول يوماً أن
يقف أمامها بوجه غير وجهه ، ولم يحاول يوماً أن يلقاها بملامح
لونها الساحيق أو اختفت حقيقتها وراء الأقنعة !

وقلت لك مرة رابعة إنه كان يمثل الوضوح في الفن ، وقيمة
الوضوح في الفن . هو أنه يتيح للدارسين أن يطمئنوا على مواقع
أقلامهم كلما قطعوا مرحلة من مراحل الطريق ... لا غموض في
المقدمات يدعو إلى الشك في النتائج ، ولا ضباب على سطح النظائر
يحول دون الرؤية إذا التمسها الميول !

هذه بعض فقرات مما قلناه من قبل ، وتزيد عليها الآب
وجهاً نظراً أخرى تدور حول مشكلة الغموض والوضوح في
الشخصية الفنية والإنسانية .. إن الرجل الملقى القلب في الحياة
منلقى القلب في الفن ، وإن الرجل المقدر النفس في الحياة منقدر
النفس في الفن ، ولا خلاف في هذه الحقيقة المستخرجة من ألوان
التجارب ولا جدال ! وكل ما يصادفك من غموض وشبه غموض

أشرت في مقدمة هذه الدراسة إلى أن شاعرنا المصرى كان
أشبه بكتاب مفتوح . أستطيع أن أقول لك وأنا مطمئن ، إننى قد
قرأته كله ... شعره على ضوء حياته ، وحياته على ضوء شعره ،
فاحياناً تولفان هذا الكتاب الذى قرأته ، وعشت بين سطوره ،
وخرجت من هذه السطور بأراء مرضتها على الدائرة فما اعترضت ،
وعلى الضمير فما أنكر ، وعلى موازين النقد فما اختلفت مع أصوله
كما أفهمها ومناهجها .

وقلت لك أيضاً إننى قد درست حياة على طه النفسية ، ودرست
آثاره الفنية .. درستهما على طريقي التى أؤمن بها وأدعو إليها
كلما حاولت أن أكتب عن أصحاب المواهب أو كلما حاولت غيرى
أن يكتب عنهم : مفتاح الشخصية الإنسانية أو مفاتيحها أولاً ،
ومفتاح الشخصية الفنية أو مفاتيحها ثانياً ، والربط بعد ذلك بين
الشخصيتين لتنفذ إلى أسماق الحقيقة في الحياة والفن ، ومدى

لقد كان بودلير في رأى الحق إنساناً غير مفهوم ولا مهضوم ، ومع ذلك فقد حاول سارتر ما وسعته المحاولة أن يفهمه وبهضمه ، وأن يقدمه إلى الناس في صورته الشاذة المعقدة وقد زابتها أكثر ما فيها من شذوذ وتمقيد ... وهكذا تفعل الدراسة النفسية حين ترفع السجف المدلاة على نوافذ الشخصية المغلفة ليندفع الضوء إلى شتى الجوانب والأركان !

وأي من عناصر الشذوذ في هذه الشخصية البودليرية الغريبة الأطوار ؟ هي في تلك النواحي الإنسانية المتباينة التي لا تكاد تجمع في منهج واضح محدد بل شعنها أو يؤلف بين ما فيها من شتات . لقد كان بودلير رجلاً يفتش عن الآلام في كل مكان ، ويسمى إليها سمياً متواسلاً ليثور عليها آخر الأمر تلك الثورة المكبوتة العاجزة التي لا تدفع شراً ولا تدرأ خطيئة ... كان مثالياً بينه وبين نفسه ، ولكنها المثالية القاصرة على عالم الذهن وحده لا تكاد تتعداه . هو في « وجوده الذهني » إنسان مترفع عن كل ما يخذش الكرامة ويشين الخلق ويهبط بالسمة إلى حمة الموبقات ، وهو في « وجوده

الواقعي » إنسان غارق في لجج الإنهم ضال في متاهات التي متخبط في ظلام الوزر والمعصية . يدعو إلى الشيء ولا ينفذه ، ويرسم الطريق ولا يسير فيه ، ويضع لحياته خط سير هو أول المنحرفين عنه والخارجين عليه ... يحب الوحدة ويتوهم في ظلها راحة نفسه ونعيم دنياه ، ولكي يظفر بها فلا بأس من أن يفسر منه الناس وأن ينفذهم فيه ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن يرسم شخصه بأفجع ألهم ، ويصنع خلقه بأشنع السموت ، ولا خير من أن يشيع عن نفسه أنه قتل أباه وأنحدر من الشذوذ الجنسي إلى أدنى يؤده وأخط مهاويه . هذا كله ليحقق لنفسه تلك الوحدة المنشودة التي يخلو فيها إلى هواجه بعيداً عن دنيا الناس ...

ومع ذلك فما أكثر ما يضيق بهذه الوحدة ويفزع عن أشباحها الرهيبة ويفر من ظلها الخائفة ! وهو ، ذلك الخلق الذي يسمو « بأفكاره » إلى مدارج الملاقة الجنسية النظيفة ، تراه يهبط « بأفعاله » إلى أقذر ما يمكن أن تلحقه هذه الملاقة بإنسان ... تراه يتصل بإحدى العاهرات ذلك الاتصال الشائن الذي يخرج منه بأخبث الأمراض وأدج الملل ، ثم لا يحاول أن يقصد إلى طبيب ليلتمس لجسمه المهك أي وسيلة من وسائل البرء الذي

وانحرف عن كل ما هو مألوف ومعروف هنا ، يمكنك أن تزد به إلى صورة المائلة وأحواله المشابهة لحظاته المطابقة هناك : شخصية فنية مبهمة ومضطربة وغير مفهومة في هذا الجانب ، تقابلها شخصية إنسانية تصطبغ بكل هذه الصفات وتتصف بكل هذه الصفات في الجانب الآخر . وهما حاول الفنان أن يظهر أمام الناس بوجه أرجواني غير وجهه الأصفر ، أو بقلب إنساني غير قلبه المغفر ، فلن يستطيع أن يمدح بعض الميول المستشفة لما وراء الطلاء من حماش ، ولا بعض الأذنان الراسدة لما بين الجوانح من خفقات . وهذه هي اللحظة الحاسمة في حياة كاتب التراجم كلما حاول أن يدرس واحداً من أصحاب الفن ، سالكا كل الطرق التي يمكن أن تدفع به إلى الهدف المرجو وتقذف به نحو الغاية المنشودة . وليس كل هدف يسير البلوغ وليست كل غاية قريبة النال ، وما دام الأمر كذلك فلا مناص من استخدام علم النفس الأدبي وتبسيط أضوائه على كل فجوة تتمرد فيها الرؤية حين يكتنفها الغموض ويلفها الظلام !

استخدام علم النفس الأدبي من أزم الأمور في كل دراسة تريد أن تأمن الزلل في التأويل وأن تتقي الخطأ في التعليل ، وأن تتجنب كل منحدر في طريق التشخيص والتشريح وإصدار الآراء والأحكام . ومع ذلك فهناك شخصيات مهوشة السمات ، مطموسة الحدود معقدة الطباع ، تزهق الدارسين حين يضمونها تحت مجهر التحليل النفسي وتكافهم من الجهد والصبر والمثابرة فوق ما تحمل طاقة الأحياء . وفي الكفة المقابلة شخصيات أخرى واضحة سهلة التناول مسبوورة الفؤار مكشوفة الأعماق ، ينفذ إليها الدارسون حين يضمونها تحت المجهر نفسه دون أن يصيبهم عنت أو إرهاق .

من هذه الشخصيات الأخيرة شخصية هذا الشاعر المصري على محمود طه ، ومن تلك الشخصيات الأولى شخصية ذلك الشاعر الفرنسي شارل بودلير . ومن الذي تناول بودلير بالدراسة النفسية فأجهد وأرهقه وأصابه بما يشبه الدوار ؟ إنه الكاتب والفيلسوف الفرنسي جاك بول سارتر ... وعلى الرغم من أن سارتر قد وصل من وراء دراسته لبودلير إلى ما لم يصل إليه في رأينا كاتب تراجم من قبل ، فقد خرج من هذه الدراسة وهو مكدود الأنفاس يخيل إليك أن جبينه قد تصبب بقطرات من العرق !

الألم والمذاب ، وكان يحلوه أن يتأوه كلما أحس في نفسه حاجة إلى الثورة . كان يبنى أن يضطهد نفسه ليكون اضطهاده لنفسه عقاباً لها ، عقاباً على مجزئه وضياعه وما اقترف في حقها من أخطاء وآثام . أكان ذلك من جانبه لونا من المقاب الذاتي الناتج عن تفلنل الزعة الدينية المسيحية بين جوانحه كما ذهب إلى ذلك بعض النقاد ؟ إن سارتر يبنذ هذا التفسير التهافت الذي لا يستطيع أن يقف على قدميه ، لأن هناك أدباء أشربت نفوسهم تلك الزعة الدينية منذ المولد وخلال النشأة والتربية ثم ساروا وحاكمين الزمن في نفس الطريق الشاذ الذي سار فيه ، ومع ذلك فما أبعد الشقة بينهم وبين بودلير لقاء الحياة بمثل ماقيها به من عقاب للنفس واضطهاد للذات !

إن المسألة إذن ليست مسألة تلك الزعة الدينية من قريب ولا من بعيد ، ولكنها مسألة مركب النقص ومركب التعويض ... رجل كان يشعر في أعماقه أنه لا وجود له أو أن وجوده كان أشبه بالدم ، ومن هنا راح يلتمس شتى السبل ليقتنع نفسه أو ليخدعها بأنه موجود . وهذه الخطوط المتناثرة التي كانت تحدد اتجاهاته مصيره في الحياة ، تمود آخر الأمر لتلتقي في نقطة ارتكاز وجودية عمادها الكبرياء ... كبرياء الذات المهزومة !!

وما أشبه جوانب الشخصية البودليرية بعدد من الغرف النفسية التي تفتحها كلها بمفتاح واحد : غرفة للألم ، وتسلمك هذه إلى غرفة أخرى للعذاب ، وتسلمك هذه إلى غرفة ثالثة للمقاب ، وتسلمك هذه إلى غرفة رابعة للسخط والثورة ، وتسلمك هذه إلى غرفة خامسة للكبرياء ... أعني أنه رجل يريد أن يجد نفسه لأنه تائه مضطرب ، وهذا هو الطريق : بحث عن ألوان الشفوذ حتى اكتظت بها حياته ، وحين تحقق له ما يبتغيه بدأ يتمذب ، ثم طاب له أن يتخذ من هذه المرحلة ممبراً إلى المقاب الذاتي الذي يتيح له أن يتبرم ويشور ، وفي هذا تحقيق لكبريائه ، وجوهه تلك الكبرياء الموهومة آمة حانقة على المجتمع ساخطة على الوجود ... لتشره بينه وبين نفسه بأنه موجود !!

هذه هي خلاصة رأي سارتر في شارل بودلير ... ومنها يتضح لك أن الكاتب الفرنسي قد أجهد نفسه كل الجهد ليصل إلى أبعد أغوار هذه الشخصية الثقيلة المذبة ، بمد أن طاف بنظرة

يقب الملاج ! وهو ، ذلك الرجل الماجز من تعريف أموره ، المشلول الحركة في مرحلة الحياة ، يسمي عن طيب خاطر إلى إيجاد من يشرف عليه ويرعاه ، حتى إذا وجد « مجلس العائلة » أو مجلس الوصاية ليشرف على هذا الرجل الذي يفر من المسؤوليات الضخام وغير الضخام ، تراه يشور على هؤلاء « الجلادين » الطغاة الذين يذيقونه الذل ويسومونه خسف العذاب ! وهو ، ذلك الثقات . اللامع الذي كان يتطلع إلى أن يظفر بمكانه بين الخالدين من أعضاء الأكاديمية الفرنسية ، تراه يمبر كل درب يمكن أن يباعد بينه وبين المكان الخالد . وأعجب العجب أنه كان ينشد من كل قلبه مثل هذا الإخفاق ! وهو ، ذلك الشاعر الجهمير يخرج للناس يوماً ديواناً من الشعر يطلق عليه « أزهار الشر » ليقف بسببه في ساحة القضاء . ترى أكان يهدف من وراء هذا الشعر إلى مؤازرة الذين ينادون بمذهب « الفن للفن » ، أم كانت يهدف إلى شيء آخر تتردد أسدائه بين جنبه وترسب في قرار سحيق ؟ أغلب الظن أنه كان يحب أن يكون متبواً من الناس بتلاحقه اللعنة في كل عمل من أعماله الأدبية والإنسانية ... وإلا لما تمعد أن يطالع الناس بهذا الشعر الذي عرشه للادانة من جانب القضاء الفرنسي ، وهي إداة مادية ومعنوية !

هو إذن في رأي سارتر رجل مضيق عاجز سبهم يحرك يديه في شتى الاتجاهات ليشير من حوله الزوايح والأعاصير ، حتى إذا هبت عليه من كل ناحية وعصفت بكياه وأودت بوجوده وقف حيالها مكتوف اليدين ... رجل عاش ولكنه لم يستطيع أن يفسر لنا هذه الحياة التي عاشها ولا أن يكيف لنا هذا الوجود الذي خلق فيه رجل كون مزاجه بنفسه واختار مصيره برضاه ، وخانتته القدرة على أن يخرج من أخطائه وآثامه بمذهب يحدد ذاتيته في زحمة الوجود أو يبرر مكانه في غمار الحياة . هذه الشخصية المعجبية الغريبة المتقلبة تحتاج إلى مفتاح يسلج أبوابها المخلقة على فنون من الطلام والأسرار ... وها هو سارتر يحاول أن يقدم إلينا هذا المفتاح .

بودلير الذي كان يفتش عن الآلام كان يريد أن يتمذب ، والدليل على ذلك مستخلص بوضوح من أخباره وآثاره ، من أخباره الخاصة وآثاره الفنية ... كان يسمي إلى صهر ووجه في بوتقة

فبروحى أعيىش فى عالم الفن طليقا والطهر بملأ حسى
تأبها فى بحاره لست أدرى لم أزجى الشراع أو فم أرمى
لى قلب كزهره الحقل بيضاء عنها السماء من كل قبس
هو فيثارت عليها أغنى وعليها وحدى أغنى لنفسى
لى إليها فى خلوتى همسات أنطقها بكل رائع جرس

كم شفاء بين من قبلى وهج النار فى عواصف خرس
ووساد جرت به عبراتى ضحك بوى منه وإطراق أمسى
أبهذى الحذور أنوارك الحراء كم أشعلت إياى أنسى
أحرقتهن آه لم يبق منهن سوى ذلك الرماد برأسى

هذا شعر صادق كل الصدق ، وأصدق ذلك الوساد الذى
جرت به العبرات ... ولا بد لك من أن تنف معنا طويلا عند
هذا البيت من هذه القصيدة الاعترافية ، لأن فيه مقتضا رئيسيا
يفصل بين قترتين من حياة الشاعر : فترة تحفل بالدموع وفترة
تمجج بالسمات ، الأولى فترة الأسى أو ما قبل الثلاثين ، والثانية
فترة اليوم أو ما بعد الثلاثين ... وها هو ذا يتعرف بأن يومه
يضحك لمنظر المبرات فى حيث يأبى لها الأسى ذلك الأسى
المبر عنه بالإطراق وفى الفصل المقبل نحدثك عن هاتين القترتين
من حياته ، وأثرهما فى خلق مزاجين متباينين كل التباين فى نطاق
الشخصية الفنية والإنسانية .
(يتبع)

أنور المعداوى

من الأدب الفرنسى

قصائد وأقاصيص

المؤلف: أستاذ محمد محمد الزيات

مجموعة من أروع القصص القصيرة وأبلغ القصائد المختارة
لصنوة من نوابغ كتاب فرنسا وشعرائها .

ومثمه ٢٥ قرشا هذا أجره البريد

الثاقب بين ما خلف صاحبها من أوراق ورسائل ، وما ترك من
أخبار ونوادر ، وما نشر من آثار فى الشعر والنثر ، وبعد أن
راح يجمع بين أطرافها المتنافرة ويوفق بين أحوالها المتناقضة ...
تلك الشخصية التى لا تكاد ترضى حتى تدخط ، ولا تكاد تحب
حتى تكبره ، ولا تكاد تقبل حتى تدبره ، ولا تكاد تنور حتى تدعن ،
ثم تتخيل بعد هذا كله أن فى الاستملاء شيئا من العزاء ! ومن
هذه الخلاصة يتضح لك أيضا أثر الدراسة الفنية فى تناول
الشخصية الفنية ، ذلك التناول الذى يمرضها لك عارية من كل
ثوب من أثواب الغموض والابهام ! ... ونحن حين نقدم إليك
هذا النموذج النادر من نماذج أدب التراجم ، فإنما تقدمه لنتشاهد
به على أن التعقيد بقدر ما يطبع صاحبه بطابعه ويمه بميمه فإن
الوضوح من شأنه أن يقوم بمثل هذا الدور فى مثل هذا المجال !

ولقد كان الوضوح كما قلنا لك لازمة من لوازم شاعرنا المصرى
فى كل فترة من فترات حياته وكل وجهة من وجهات فنه ، ولك
أن تقدمه أول مفتاح يهيء لنا أن نضع أيدينا على منافذ شخصيته
الأدبية والإنسانية ، دون أن نلجأ إلى الفروض التى تضع الشيء
موضع الاحتمال فى أن يكون حقيقة من الحقائق أولا يكون ...
ولقد كان على طه واحدا من هؤلاء الذين يفتحون القلب على
مصراعيه أمام الخلق من الأصدقاء ، حتى ليخيل إلى من يعرفه
منذ شهور أنه يعرفه منذ أعوام وأعوام . كان واضحا فى فرجه
كما كان واضحا فى حزنه ، وكان واضحا فى سره
كما كان واضحا فى جهره ، حتى لو أنه حاول أن يصمت لكان
صمته فنا من الكلام ، أو حاول أن يكتم لكان كتمان ضريا
من البوح والإفشاء ! ومن هنا كانت حياته على لسانه
سلسلة من الأحاديث وكانت فى شعره سلسلة من
الاعترافات ... واستمع إلى هذا « الاعتراف » فى موضعه من
الصفحة الثالثة والثلاثين من « شرق وغرب » ، وهو حديث
ينبع من قلب أبيض كزهره الحقل البيضاء :

إن أكن قد شربت نخب كثيرات وآرعت بالدامة كأمى
وتولت بالحسان لأنى مغرم بالجمال من كل جنس
وتوحدت فى المسوى ثم أشركت على حالى رجاء وبأس
وتبذلت فى غرامى فلم أحبس على لذة شياطين رجسى

كارلونيلىنو

المستشرق الكبير

لمحة تاريخية يستلزمها على مدى تممه
في العلوم عند العرب ، وبشوع خاص
في الجغرافية والهيئة وآداب اللغة والفقه

للأستاذ يوسف الخورى

—•••••

في يوم صافى الأديم من عام ١٩٠٩ أطل على إدارة مجلة الهلال الزاهرة بقية التعرف على إحدى أمهات المجالات العربية في مصر شاب إيطالى حسن المندام وسيم الحيا يشع من عينيه بريق الذكاء وتم على رزائنه لحية شقراء تمثبها أصابع أرستقراطية. وما وقف بياب غرفة رئيس التحرير حتى رفع قبعته مسلماً وانحنى بتأدب محيياً بمباراة عربية لا عجيبة فيها ولا لكنة ، هي : «السلام عليكم يا سادتي الكرام»

وما سمع الحاضرون هذه التحية العربية الخالصة حتى تولتهم الدهشة ووقفوا إجلالاً لها وللقنها وهم يكادون لا يصدقون أنهم أمام أجنبي ينطق بلسانهم بفصاحة البرب الاقتحاح .

أما هذا الزائر الشاب التكلّم بالعربية كأحد أبنائها فلم يكن سوى الأستاذ كارلونيلىنو الذى أم التاهرة بطلب من الجامعة المصرية لكي يدرس فيها باللغة العربية تاويغ علم الفلك عند العرب.

ولم يكن تلامذة الجامعة أقل إعجاباً بفصاحة أستاذهم الأوروبي وسمة اطلاعه طيلة الدة التي قام فيها على تدريسهم حتى أواخر عام ١٩١٢ ، كما تقدم الإعجاب عينه إلى الجماهير ، لا في مصر وحدها بل في سورية ولبنان والبلدان العربية أيضاً حتى ليبيا وطرابلس وتونس الخضراء والجزائر والمغرب وكل البلدان التي أسعد الحظ رجالها وعلماءها بالتعرف إلى هذا العالم الكبير والمستغرب النادر المثال الذى طاف بكل هذه البلدان بعد أن سبقته إليها شهرته وتأليفه فكان في كل مكان حله وكل مجلس ضمه موضع تقدير أهل العلم ، لا لحسن نطقه وطلاقة لسانه في العربية فحسب ، بل لسمعة معارفه . ولا بدع فهو المستغرب

الفذ الذى ملك ناصية اللغة وتمعن في دراستها وتمكن من تاريخ العرب وآدابهم وحضارتهم وكل فرع من فروع اجتهادهم العلمى غير نارك شاردة ولا واردة من فقه أو لغة أو نحو أو حساب أو فلسفة أو تاريخ أو هيئة حتى بلغ الغاية فيه على شكل لم يأت لأى واحد من المستشرقين الذين تقدموه أو خلفوه .

وكل من يدرس تاريخ هذا البعثات المجاهد في حقل المربية دون كمال ولا ملل يرى أنه تمشق المربية والابحاث الشرقية منذ حدائنه وبرع في هذه الدراسات حديثاً وياًماً حتى توسل في كهولته إلى التسيطر الفكرى على كل ما يتعلق بهذه العلوم فأصبحت له السكامة العليا بين المستشرقين وقوله هو القول الفصل في كل نواحي الفكر العربى من حضارة وتاريخ في الجاهلية والإسلام لغة ولهجات وقبائل وعادات وأدياناً ونحلاً وسياسة وفلسفة واجتماعاً ، حتى إن المرء ليمعجب كيف أن قوى رجل واحد وحياة واحدة تكفى لاستيعاب كل ما تقدم ، إلى جنب إنتاج خصب امتاز بالدقة والتحقيق ومعرفة تامة بالنصوص على تسام في التصدد وتنزه عن الهوى . فعمل الأستاذ نلىنو ونتاجه العلمى رفقاء إلى مرتبة سميابين كبار المستشرقين مثل (سنوك هورجرويه) الهولاندى ، وجولد زيهير المجرى ، ونولدك وولهورزن وريت .

وقد أسعدنى الحظ بالحصول على جل مؤلفات هذا المستغرب الأكل الذى ظل يخدم المربية والشرق حتى الرمق الأخير فأحببت أن أخلص سيرته لكي يرى كل عربى رأى العين كم نحن مدينون له ولأمثاله من المستشرقين ، إذ هم الذين كشفوا لنا مسميات تاريخنا ولتنتا لعلنا نفتنى إرهم فنعمل بمثل جدم ونشاطهم وتقانيهم على إحياء التراث الجيد الذى خلفه لنا أجدادنا فأمله وارثوه الشرعيون وحفل به الغرباء .

١

ولد كارلو نلىنو في تورين عام ١٨٧٢ وفيها تلقى دروسه الابتدائية والثانوية وتمشق منذ حدائنه علم تقويم البلدان وأكب على مطالعة كتب الرحلات . وظللاً حديثه نفسه كالكثيرين من أنداده باقتماد غارب الأسفار واكتشاف الجاهل ، ولكن حله هذا لم يتحقق ، وكان شأنه شأن الكثيرين سواه ممن امتثلوا من الخيال صفاراً وكبابهم كباراً . على أن إخفاقه كان أجدى عليه

العربية في مكتبتها الملكية وإعداد برنامج استغرق عمله فيه بضعة أشهر . وفي هذه الرواية ما يدل على مبلغ تضلع هذا الفقيه من العربية إلى حد أن يطالع وينتقد من نصوصها ما يتمرد فهمه حتى على المختكين في حين أنه لم يكن إذ ذاك قد جاوز الثامنة عشرة .

وهذه البياكورة الناضجة من تأليف ناليانو تحت برغبته في التخصص في الأبحاث الجغرافية والفلكية وما إليها عند العرب .

وقد خصص لهذا القصد عدة مقالات نشرها في مجلة الكوزموس ، منها مقالة منافية في خمسين صفحة كبيرة ذات أهمية بالغة في تاريخ الجغرافية عندنا عنوانها : « الخوارزمي وتجديد جغرافية بطليموس عند العرب » وذلك على إثر تناوله بالدرس العميق الدقيق نسخة خطية وحيدة عثر عليها في مكتبة ستراسبورغ من كتاب صورة الأرض للخوارزمي . وما يجدر ذكره في هذا الصدد أن الدقة في البحث وحرية النقد كانتا مألوفتين على الأخص في زمن المأمون في حين أن العرب كانوا يؤمّنون في بدء نشأتهم العلمية ولبطليموس عندهم منزلة رفيعة تحيط اسمه بهالة من الإجلال والاحترام ، لا بل إنهم كانوا ينظرون إلى علمه ومعارفه الفلكية نظراً إلى الخوارق أو الأعاجيب .

وفي هذه المقالة كما في ما كتبه سواها قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين أظهر ناليانو من القدرة العلمية في الحساب والميثاق قراءة المخطوطات المويصة ما حدا المألين سكارللي — المستعرب منها والفلكي — إلى تحميله سنة ١٨٩٤ مسؤولية استنباطها علماء طائروالبيت بقوة ونه سنأه إشرافه على طبع أجل المخطوطات العربية في علم الفلك وهو كتاب الزيج الصائبي للبتاني ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن ثابت بن سنان بن جابر الحراني أزهري في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر إبان بلوغ الحضارة العربية أوج مجدها . — وكتابه أس من أسس علم الهيئة لا عند العرب فحسب بل في الغرب أيضاً حيث ترجم إلى اللاتينية وانتشر واشتهر حتى أصبح الدستور الذي عشى عليه هذا العلم في أوروبا المسيحية حتى عهد البعث أو التجديد . ولم تأفل شمسها إلا بعد قلب نظرية كوبرنيكوس على معتقد الفلكيين الأقدمين .

وأقبل ناليانو على الارتياح على هذا العمل وهو أعلم الناس بما سيمترض سبيله من المشاق فتوجه سنة ١٨٩٤ إلى مدريد لكي

تازداد انصباباً على الفرس وتقصى آثار أصحاب الرحلات وأخبارهم وأوصاف البلدان التي أموها حتى استخلص منها وهو بمد في سن الفتوة خريطة لأوساط أفريقيا ومجاهلها .

ولم يكن شغفه باللغات الأجنبية دون شغفه بعلم الجغرافية . وشعر بحيل خاص إلى اللغة العربية لانتشارها في بلدان كثيرة من قارتي آسيا وأفريقيا فأكب على دراستها في مجموعة عربية وقعت له في مكتبة بلدية أوديني . ولما تبين ذووه رغبته هذه أهدوا إليه أجرومية في المربة الداريجة ألها بالإيطالية جوزيه ساييتو . وكان مؤلف ذلك الكتاب مرسلاً وجغرافياً معاً طاف بلاد الحبشة والمستعمرات الإيطالية الواقعة على البحر الأحمر وعلم العربية في مدرسة فيرنزة المالية ثم في جنوى برغم أنه كان أعرف بالعربية العامية منه بالعصبي . ولكن الشاب ناليانو استعان بهذا الكتاب المقيم كما استعان بغيره من الكتب التي كانت تصل إليها يده حتى قطع بكده وثاقب فكره شوطاً بعيداً في معرفة اللغة العربية وأصبح قادراً على تفهم النصوص الصعبة قبل أن تفتح له الجامعة أبوابها .

وبينما كان مكباً على درس العربية حكف على دراسة اختيا السريانية والعبرية اللتين تعمق فيهما تعمقه في العربية .

وفي سنة ١٨٩٩ وشح نفسه لدخول فرع الآداب في كلية تورينولوجو كرسى فيها للدروس للشرقية يتولاها طالان شهبان أحدهما إيطاليين الذي لم يحمل تخصصه في الدروس الفارسية دون إلمامه بالعربية إلى حد أن أصدر مؤلفاً في آدابها . وعلى يده تضلع ناليانو من العربية وظل حياته كلها حافظاً جملة . على أن ميله للأبحاث الجغرافية كان يحفزه للتلمذ على أحد أساتذة هذا العلم المشهورين بتفوقهم وهوجويدي كوراصاحب مجلة الكوزموس العلمية وأستاذ الجغرافية في كلية تورينو ثم في كلية روما .

وكانت باكورة ميله المزدوج إلى العلوم العربية وعلم الجغرافية إصداره في العام الأخير من دراسته أول تأليف في هذه الأبحاث نشره له أستاذه جويدي في مجلته تحت هذا العنوان : « قياس العرب درجة من قوس نصف النهار وتمثيلها بالقياس التري » وفي مستهل المقال يخبرنا أنه فرغ من تأليفه سنة ١٨٩٠ ولكن نشره تأخر طبعين بسبب اضطرابه إلى الإقامة في موناكو لفحص المخطوطات

رأيه في فلكيى العرب فكتب له بشأنه رسالة خاصة جاءت في كراس كامل ضمنه ملحوظاته وتنقيحاته وشروحه وتفسيره ، وبلغ من اهتمام العالم السويسرى برسالة زميله الايطالى أن أجلبها لأهميتها التاريخية ونشرها كملحق لكتابه مما كان له أجل وقع في الأوساط العلمية وعاد بالفخر على المستدرك والناشر مما . من أجل ما تقدم تسم نلينو أعلى المراتب عند العلماء المحققين وأصبح مرجعاً يعتمد عليه في كشف الغوامض وحل الرموز الفلكية .

— ٢ —

ولا بدع وهذا شأنه وخطره أن يهد إلى بكتابة مقالات في علم الفلك وأحكام النجوم لدائرتي معارف عالميتين هما الموسوعة الاسلامية التى تطبع في هولاندا وموسوعة أخرى انكليزية . على أن ما يعيننا مباشرة هو وقوع الاختيار عليه عام ١٩٠٩ لإلقاء الدروس في الجامعة المصرية في علم الفلك عند العرب وسوام ممن تقدمهم ، فلي طلبها وراح يحى في ذلك القطر العربى هذه الدروس التى كان من تفوق العرب فيها بعد أن أكسبهم شهرة عالمية ولكنها لسوء الحظ أصبحت عند أحفادهم أثرأ بعد عين .

واستفاض نالينو في أبحاثه في هذا العلم لا عند العرب فحسب بل عند الأقدمين الذين أخذ عنهم العرب كما أبان عما أخذه علماء القرون الوسطى بدورهم عن العرب . وبعد أن سرد تعريفات هذا العلم عند الأقدمين والمحدثين أخذ في الفحص عن مصادر أخبار فلكيى العرب ومؤلفاتهم مبتدئاً بما كان يرفه عرب الجاهلية عن السماء والنجوم وحساب النسيء ومنازل القمر وأنوائها . وتطرق إلى مبادئ علم الفلك عند الأمة الاسلامية وما كان من تأثير علم الفرس غيهم وما ورثوه عن اليونان والهنود وتدريبهم لكتبهم . وبعد هذه التوطئة أخذ في ترجمة الذين اشتهروا من الفلكيين العرب وذكر تآليفهم التى وصلت إلينا وتلك التى عبت بها أيدي الضياع وتوفل في الفحص عن أهم مباحث علم الهيئة موضحاً رأى علماء العرب في كل منها فشرح أقوالهم في طبيعة الأفلاك والكواكب وأصل نورها الخ ، وأخيراً دار كلامه على علم أحكام النجوم مبيناً ما أخذه العرب عن أسلافهم وما اخترعوه هم أنفسهم ، وأورد المناقشات التى دارت رحاها بين المتكلمين والفقهاء والفلاسفة

يطالع على النسخة الوحيدة المعروفة لهذا الكتاب في مكتبة الأسكودريال . ولكنه ما عزم أن يرجع إلى نابولي لكي يعيد اقبامه بتلك المهمة على الوجه الأكمل ، وذلك بدخوله كليتها الجامعة لكي يدرس فيها أصول علم الفلك فيمد نفسه لمجابهة المشاكل التى لا بد أن تعرض له في كتابه هذا خصوصاً ما استعصى منها في جداول أبعاد النجوم وحركات الكواكب التحيرة التى تؤلف معظم الكتاب وهى أصعب قسم فيه . ولكي يتمكن من تصحيح ما ارتكبه النساخ من إخلال وتدحيض أجهد نفسه في تحقيق كل البيانات الحسابية التى بنيت عليها أبعاد النجوم وثبتت من أرقامها المشيرة إلى كل نجم بمفرده . ولم يكتف من علم الهيئة بالنظريات بل اقتفى أثر العرب فأكب على الدرس العلمى جامعا ومتصفحاً طائفة كبيرة من النصوص غير المطبوعة التى لم يوفق إليها سواء كما راجع عشرات الترجمات اللاتينية القديمة التى ضاع الأصل العربى المنقولة عنه وأعاد النظر في الأصول اليونانية والفارسية والهندية وكل علوم الأقدمين الذين أخذ عنهم العرب .

وبفضل انكيا به المنقطع النظير وتنقيبه المتواصل تكلل سعيه بالنجاح فأخرج العلم بثلاثة مجلدات ضخمة جاءت في ١١٣١ صفحة من القطع الكبير يشتمل الأول منها وهو ثلثها على النص العربى للزيج الصابى ويليها الجزء الثانى وهو ترجمة لاتينية للنص العربى مع شروح وتعليقات ومقدمة تاريخية تعرف الصابى وتآليفه ومكانته بين فلكيى العرب . أما الثالث فيتضمن ترجمة جداول الكتاب باللغة اللاتينية مع فهارس مهمة ومعجم نفيس للمصطلحات الفلكية وشروح لاتينية للتأثير العربية ، وفي نهاية الكتاب فهارس تهدى إلى كل مادة من مواده .

وكان من شأن هذا التأليف الذى أنفق المؤلف في وضعه أعواماً عديدة أنه أتى بأبحاثه نوراً جديداً على علم الفلك وكشف عما بلغه العرب في شرحه وجلائه وأظهر للعالم مقدره ناشره المعجبية في العربية وثقوفه في شتى فروعها ومصطلحاتها العلمية القديمة والحديثة ، مما أكسبه شهرة واسعة في عالم الاستشراق وأحله القروة بين علماء الهيئة المحدثين .

ومما زاد في شهرته في هذا المضمار حادث جرى له مع زميله المستشرق السويسرى سوتر فقد اطلع على كتاب ألفه هذا وضمنه

اطلاعا وأطولهم بما في هذه الأبحاث في لغتنا واللغات الأجنبية جزاها الله خيراً وأبقاها خير خلف لخير سلف .

وللاستاذ نالينو عدا مؤلفاته الكبيرة مقالات عديدة نشرتها له المجلة اندبوية المصرية سنة ١٩٠٧ في الجغرافية وأسماء الأماكن في البلاد ، على الأخص ما وضعه من القواعد لنقل الأسماء العربية إلى الإيطالية وكيفية التوصل إلى ضبط الأسماء الجغرافية في طرابلس وبرقة وما كتبه من المقالات العلمية للموسوعة الإيطالية . وقد امتاز في كل ما كتبه بالتمتع في الدرس وإبقاء الموضوع حقه من البحث والتنقيب كما كان بطبعه عدواً للمطروق والسطحى أفيلج العباب ويغوص على اللباب ويمود بكل مجهول طريف .

— ٣ —

وإذا انتقلنا من علوم الطبيعة إلى علم العقل نرى إنتاج نالينو في هذا الحقل ينمو ويزداد. وإذا نظرنا إلى اللغة من مختلف نواحيها فصيحها وعامها وباندها ، نرى نالينو قد امتلك ناصيتها وأخذ بأعنفها حتى ليكاد يلم بكل مادق وخفي من قواعد صرفها ونحوها ولا يلتبس عليه أدنى صوت من مقاطع لهجاتها . وأصدق شاهد على قولنا هذا كتابه في « العربية التكلم بها في مصر » الذي أصدر الطبعة الأولى منه سنة ١٩١٠ وأعاد طبعه سنة ١٩١٣ . وبيت القصيد في هذا الكتاب مقدمته التي لا تنأى كتابة مثلها إلا لعرب متضلع من لغته إلى أبعد حد

ومثل ذلك يقال في الملاحظات التي أوردتها بشأن اللغة التونسية ونشرها في مجلة الشرق الحديث الذي كان يصدرها باللغة الإيطالية . وقد أسعفه على التقصى ما امتاز به من دقة حاسة السمع وصرانه الطويل في رحلاته المتعددة إلى تلك البلاد .

وقد أولى الجاهلية عناية فائقة وكرس لبحثها وقتاً طويلاً . ففي سنة ١٨٩٣ ظهر له وهو بمدفئ بحث مستفيض عن نظام القبائل العربية قبل الإسلام أبدى فيه من الرصانة في الحكم إلى جنب البحث في القبائل العربية وتاريخها وأسابيل مبعثها وعلاقتها الاجتماعية ما حدا بالآب لامنس اليسوعي المتروفي بالتفوق في هذا المضمار إلى ذكر هذا الفتى بعد انقضاء عشرين عاماً على صدور مقاله .

والمنجمين في تأييد هذا العلم أو بطلانه، فجمع هذه الدروس القيمة في كتاب أتى في ٣٧٠ صفحة ، طبعه في روما سنة ١٩١١ ، مع فهارس عامة وحواش وتمايلق جعلته تحفة من التحف . وقد تكومت آخر الأتسة كريمة الأستاذ الدكتور مارينا نالينو فأبحفتنا بهذا الكتاب القيم فشكراً لها على هذه المنة .

وبلغ من ارتياح عمدة الجامعة المصرية إلى دروسه وأبحاثه أن جددت التعاقد معه دروسين آخرين حتى سنة ١٩١٣ . ومما زاد في دهشة ذوى الاطلاع تبرزه في تاريخ علم الأدب عند العرب على وعورة مسالكه وخشونة مركبه لأجنبي ، ناهيك بأنه كان إذ ذاك مدوداً من اختصاص العلماء المصريين وحدهم فليس لأجنبي أن يقدم عليه وإلا تعرض لسهام النقد وأثار الدهرية والهزء . ولكن مستشرقنا تغلب على كل هذه الصعوبات لأن عمره يته كما قدمنا كانت سالمة من كل شائبة افظاً ومبني . وبدلاً من أن يجرى على المألوف فيدرس الأدياء تبكاً لترتيب الحروف الأولى من أسمائهم نسق تاريخهم وقسمه لماً طراً على علم الأدب من تطورات جوهرية في مصوره الجاهلي والخنصرم والأموى والعباسي ودرى كلا من هذه الحقب مبيناً الخاسية الأدبية والفنية التي تميزت بها عن سابقتها ولاحقها ، متقمصاً في كل حقبة النتائج الفكرية التي تفردت به نظاماً وتراً ، بما أنزله في الأوساط الأدبية منزلة لا ينازعه فيها منازع وجعله ذا أثرين في التقدم العجيب الذي أحرزته اللغة العربية في الربع الأول من هذا القرن . وبكفينا للتدليل على صحة هذا الرأي أن كان بين تلامذته المدودين الدكتور طه حسين بك زعيم المدرسة المصرية الحديثة في التاريخ والأداب العربية والذي طالما اعترف بأنه مدين لأستاذه نالينو بثقافته الأدبية ونهجه الفكرى .

أما البشرى السارة التي نرفها إلى القراء فهي أن هانيك الدروس التي استقى الأستاذ نالينو مادتها من مخطوطات قديمة لقي صنف العناء في قراءتها واستجلائها واعتمد عليها في مقام التدليل والاستشهاد إنبافاً لنظرياته واستنتاجاته أصبحت في مأمن من الاندثار إذ سببها قريباً من مدافتها كريمة الدكتور مارينا نالينو في كتاب متفن الطبع يضم تطبيقات وحواشى ضافية وفهارس عديدة . وهي فينة بالاضطلاع بهذا العبد لأنها من أوسع الناس

منتصف القرن الخامس . وكانت نهضة الشعر الجاهلي وبلوغه أوج الإجابة في عهد ملوك كندة الذين كان اجزؤ القيس آخرهم ، وقد وتوفى بين . ٥٣٠ و ٥٤٠ ، وإذن فاللغة الفصحى سرودة إلى إحدى اللهجات النجدية وقد تهذبت في عهد المملكة الكندية ونقلت دون سواها من اللهجات وأصبحت لغة الأدب السائدة وبها نزل القرآن على محمد فأصبح مرجع العرب الديني والسياسي واللغوي .

وفي نايان هذا المال بني رعم الكبير بأن قريشاً كانت أفصح العرب إذ في رأيه أنه لو صح هذا الزعم لأخذ الرواة والنحاة الشعر والنحو عن قريش وأهلوا عرب البادية . ولو كان التنزيل بلغة قريش لاعتمد الشراح أهل مكة في تفسير ما استغلق من غريب القرآن . زد على ذلك أن قريشاً لم ينبغ فيها شاعر مشهور ولا خطيب مذكور، فلا شك إذن في أن ماذهب إليه الناس من القول بتفضيل لغة قريش لم يكن مصدره سوى حب الرسول واعتبار تكريم قبيلته تكريماً له .

وغريب أن يتفرغ ناليو للكتابة في المجلات والجرائد إبان انصرافه إلى الدروس التحليلية وإلقاء المحاضرات في جامعتي مصر وروما ، وكانت محاضراته في الجامعة الأخيرة خاصة بتاريخ اليمن القديم وجاهلية بلاده مما ساعد كثيراً على فهم الاسلام ونشأته . وما من شك في أنه لو استطاع لنشر هاتيك المحاضرات القيمة وخلها إرثاً ثميناً .

وما زاد في مشاغله انكبابه الوقت الطويل على تنقيح مؤلف جاء في ثلاثة مجلدات ضخمة كان أصدرها المستشرق الإيطالي ميكال اسارى وتناول فيها تاريخ مسلمي صقلية ، وقد عنى ناليو بضبط الأسماء والتواريخ وذكر المصادر من كتب مطبوعة ومخطوطة بحيث جاء ذلك الكتاب دليلاً ساطعاً على سمة اطلاع هذين المالين المستعربين .

ويقصر باعنا وعلنا وبضيق بنا الوقت والمجال عن ذكر كل ما ألّفه علماء النرب وهى الأخص ناليو مما لا عهد لصحافتنا وكتابنا بمعالجته وكله يتعلق بالاسلام . وقد نقب عليه في فقه اللغة وغريب اللغة والشرح الاسلامي والفرق الاسلامية ، قديمة كانت كالخوارج والشيمية والمتمزلة والتقدرية ، أو حديثة كالوهابية . وهى

ولهذا المستعرب أبحاث كثيرة لم تنشر؛ ولكن ما كان نصيبه النشر منها يثبت معرفته التامة بلغات جنوب الجزيرة العربية وهى المعروفة بالجزيرية التى تفرعت منها لهجات عديدة منها الميمنية والسيامية والحضرية والفتبانية الخ ، وجميعها تختلف عن العربية الفصحى كل الاختلاف . أما ما اتصل بنا منها فالفضل ببقائه مائد إلى النقوش التى عثر عليها فى المغاور والصخور الكائنة على طريق القوافل القديمة . وقد بدأ المستشرقون منذ سنة ١٨٣٤ فى قراءة حروفها وحل رموزها غير مبالين بالصعوبات التى تترس سبيلهم لتعذر الوصول إليها . أما النصوص الجزيرية التى نجدها فى كتاب الإكليل للهمذاني فليست سوى نصوص مزيفة لفقها المؤلفون كابن وهب ومحمد الكلبى وابن هشام وتقتصر على بعض كلمات عربية إلى جنب كلمات جزيرية قليلة اهتموا إليها مما عثروا عليه من الآثار، وقد تناول ناليو هذه اللهجات البائدة وأثبت معرفته التامة بها فى مقال طويل تناول فيه بالنقد والتحليل كتاباً أصدره العالم الايطالى السيد كونتى روسيني باللاتينية عنوانه « مجموعة نصوص عربية جنوبية »

وعلاوة على أبحاثه فى الكتب كان ناليو يتجرف ببعض المجلات العربية فى مصر والشام بمقالات فى اللغة والأدب ، منها مقالة نشرتها له مجلة الهلال سنة ١٩١٧ كانت من الجرأة الأدبية والأهمية العلمية بمكان وعنوانها « كيف نشأت اللغة العربية » انتهى فيها فيها إلى الاستنتاجات التالية :

إن اللغة العربية الفصحى هى بلا شك لغة الشعر الجاهلي المدون فى كتب السلف . ومزية هذا الشعر أن مافيه من أوصاف وتشايب وأفكار ومعان يدل على أن مبتكره هم الأعراب أهل الوب، أخذ عنهم الحضر وقلدوه لغة وأسلوباً . ولما كان من الثابت أن معظم آداب الجاهلية انحصرت فى القريض لزمنا القول إن العربية الفصحى كانت لهجة من لهجات هاتيك القبائل التى أخذ عنها الشعر التى شدد إليها الرواة فيما بعد الرجال وتلام النحاة الذين دونوا أصول اللغة وقواعدهما لئلا يأخذوا عنها صفة النطق وتقويم اللسان وتفسير التريب وشواهد النحو ، وإذا أنعمنا النظر فى تاريخ القبائل التى كان لها القدح الممل فى الشعر انتهينا إلى الجزم بأنها كانت القبائل المدنية المنصوية تحت لواء كندة قبل

هذه الصورة من المثانة في التعبير والدقة في البحث جاء ما كتبه عن المتصوفة في الاسلام وأشعار ابن الفارض والرئيس ابن سينا في الحب الإلهي والفروق التي تفصلها عن متصوفة اليونان المشركين .

- ٤ -

وظل ناليو منذ نشأته معنياً بشؤون الشرق، قديماً وحديثاً حتى تدهت إيطاليا إلى مالا لشؤون الشرقية والاسلامية من الأهمية في ساسة الدولة ، وكان ذلك على أثر خروجها من الحرب العالمية الأولى فأنشأ (إماديو جابيتي) في روما معهد الشرق وعهد إلى ناليو بإدراوته العملية . وكان في جملة مقررات المعهد إنشاء مجلة شهرية بعنوان «الشرق الحديث» تبحث في الشؤون السياسية والاقتصادية التي تتعلق بالشرق الاسلامي فقام ناليو بالمهمة التي أسندت إليه خير قيام . وكان في الوقت نفسه يشرف على المجلة ويبتهددها بقلمه ويودعه من الأبحاث كل طريف مفيد . وعلى كثرة مشاغله لم يكن يهمل مطالعة كل ما يرد عليه من المجلات والجرائد والمنشورات العربية على اختلافها ويستفيد مما يطالعها أبحاثاً للمجلة التي لا تزال توالي الصدور بعد أن أقل نجم منشئها المتوفد .

وبجمل بنا ذكر المكتبة النفيسة التي أنشأها هذا العالم العامل وأودعها كل طعثر عليه واستطاع اقتناؤه من الآثار الأدبية والعلمية في البلدان العربية التي زارها وكل ما صدر في أوروبا من كتب الاستشراق حتى أصبحت أغنى مكتبة خاصة بالمختار من الكتب النادرة . والفريب انه بدأ بجمعها وهو يد فتى رقيق الحال قليل المال وزادها أضاعاً بعد أن أصبح في يسر وإقبال .

وبلغ من شهرته العالمية أنه انتخب عضواً في الجمعية الملكية الآسيوية في لندن والجمعية الألمانية المضارعة لها ، وهو شرف رفيع نادر لم يفتخر به سوى فطاحل العلماء . أما في الشرق فقد عرفت له جميعاً مكانته وضمته إلى سلكها ابتداء بالجمعية الملكية المصرية سنة ١٩٣٢ كما أصبح من الأعضاء العامين في مجيى دمشق وبغداد . وفي سنة ١٩٣٨ أم البلاد السعودية فاستقبل فيها بالأكرام والاجلال وطاف بها من العقبة حتى الطائف تصحبه كرمته الأنسة ماريا غير عابثة بقطع القفار ونجشم الاخطار . وبهذه الرحلة تمت له أمنية طالما راودته وكان اغتباطه عظيماً بتفذيته بصره وتشنيفه سمحه بما وماه ذهنه من أوصاف تلك البلاد وما كتبه بشأنها

من أبحاث وأقراء من دروس فماش مع أهلها عيشة البداوة واطلع على عاداتهم وسمع لهجاتهم وإنشادهم الشعر في سمرهم وهم يصطلون في خيامهم السود أو متكئون حلقات على بساط من الرمال . وهناك استعاد إلى ذهنه الحوادث الجسام والانقلابات التاريخية التي مثلت في ما عبر على مسرح تلك الجزيرة المترامية فطوت الأيام الحوادث والرجال وبقي المسرح شاغراً لتحتله رفرق جديدة تمثل عليه أدواراً -
ترمز إلى عصر جديد .

وكانت أمنيته الثانية بعد عودته أن يصف تلك البلاد وصف شاهد عيان ويقيم المقابلة بين ما عرفه من ماضيها وما خبره من حاضرها ولكن شاءت الأقدار أن يكون تسليمه عليها وداعاً وأن تكون آخر بقعة أمها ولم يعمل ربها يستفيد ذكرها في خلواته ويدون بشأنها معلوماته فذهب في سنة ١٩٣٨ مذكوراً بما ذكره الفر مأسوقاً عليه من كل من عرف فضله ونهل من ينبوع علمه القياض ليتلاها كنجم ساطع في سماء النبل والفضل وينعم بالخلود -

المصبة الأندلسية يوسف الخوري

المراجع التي أخذنا عنها :

ميكالانجلو غويدي : كارلو الفونسو ناليو : في مجلة الأبحاث الشرقية التي تصدرها مدرسة اللروس الشرقية في كلية رومية .
سنة ١٩٣٩

ج . ليفي دلا فيدا : كارلو الفونسو ناليو : مقالة مضافية نشرت في آخر الجزء السادس من مجموعة تآليف ناليو . رومية ١٩٤٨ -
كارلو ناليو : مجموعة تآليفه التي نشرت والتي لم تنشر ٦٠ مجلدات رومية ١٩٣٨ - ١٩٤٨

كارلو ناليو : الزيج الصائبي للبتاني ج ٣ . رومية ١٨٩٩ - ١٩٠٧

كارلو ناليو . علم الفلك . تاريخه عند العرب في القرون الوسطى . رومية ١٩١١

كارلو ناليو : عدة مقالات متفرقة في الهلال ومجلة الجمع الملى العربي في دمشق .

طالعائى فى المهر القديم

الخطيئة والمعرفة

للاستاذ محمود الشوقى

الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله لانا كلامه ولا نعلمه
نموتنا ، فقالت الحية للمرأة : لن نموتنا ، بل الله عالم انه يومنا كلان
منه « نفتح أعينكما » وتكونان كالله عارفين الخير والشر »

قد تكون الخطيئة إذن هى الطريق للمعرفة ؛ والثمرة المحرمة
قد تخرج الإنسان من الجنة إلى محنة الحياة ولكنها تخرجه أيضاً
إلى عالم المعرفة والأدراك والتجربة والنور ، أو كما قالت الحية تفتح
العين وتعمل الإنسان كالله عارفاً للخير والشر ، ولذلك عندما
أخذت المرأة (من الثمرة وأكلت وأعطت رجلها أيضاً)
فأكل ، انفتحت أعينهما وهما أنهما عريانان (وكانا من قبل أن
ياكل) كلاهما عريانان ، آدم وامرأته ، وهما لا ينجلان) وعند
ذلك خاطا (أوراقتين وصنعا لأنفسهما مآزر)

كانا عريانين من قبل الخطيئة ولكنهما لا ينجلان لأنهما لم
يدركا عريتهما ، فلما أكلتا من الشجرة المحرمة عرفا الخير من الشر
والحسن من القبيح وأدركا عريتهما فاكتمتا .

وهذه ثمرة الخطيئة . المعرفة .

ولذلك قال الرب وهو يتنادى آدم فى الجنة (أين أنت ؟
فقال . سمعت صوتك فى الجنة فخشيت ، لأنى عريان فاخيتأت)
فقال له : من أعلمك أنك عريان ! هل أكلت من الشجرة التى
أوصيتك ألا تأكل منها ! « فقد عرف آدم اذن - كما قال الرب -
عريه من خطيئته .

...

وكانت هذه الثمرة ، أو هذه الخطيئة ، سبباً فى أن غضب الله
على آدم وزوجه على تلك الحية الخبيثة التى أغرتهم بالمعرفة ليخطئنا
أو جعلت المعرفة سبيلاً لمقارفة الخطيئة ، فمقاب الله الثلاثة على
السواء ، وكان عقاب آدم وحواء أن يخرجوا من الجنة ، ولعن الله
الأرض كلها بسبب آدم وجعله (بالتمب يا كل منها كل أيام حياته
وشوكا وحسكا تنبت له ويا كل عشب الحقل) . ويرق وجهك
تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب
وإلى التراب تعود) .

وقد نال آدم وحواء هذا الغضب كله من الله وخرجا من
الجنة مطرودين ، ولكنهما أدركا « معرفة الخير والشر » وهذه

فى أمية من أمسيات هذا الشتاء المنقلب المضطرب القاسى
وكان يوماً غائماً لم تظهر له شمس ، دخلت إلى خزانة كتبى وأنا
قلق النفس أبحث عن شىء ولكنى لأدري ماهو ، وأشعر فى
داخل نفسى بشىء من ذلك الشعور الحزين الغامض الرقيق لم أدور
له سبباً ولم أدرك له تعليلاً ، اللهم إلا أن يكون مشاركة الطبيعة
فيا هى به من الظلام والكآبة والقلق ، أو هو انسحاب مافى
السماء من غيوم إلى مافى النفس من إحساس .

وقفت أمام الخزانة لأختار كتاباً ، من غير قصد ، أى
كتاب ، أسمى بالمطالعة فيه عن نفسى وأصرف عنها هذه
الكآبة الغامضة الرقيقة .

هذا تفسير الكشف ، نعم ، ولكنه يحتاج إلى تدبر وإمعان
ونهى ، وليس نشاطى الآن مما يساعد على التدبر والإمعان .
هذا ديوان البحترى ، نعم ، ولكنه شعر ، وما أنا بسبيل
البحترى وما فيه من سياغة ونساعة تحتاج إلى نفس نائمة كشمز
لا إلى نفس غائمة تنشأها هذه الصحابة من الحزن .

هذا هو الكتاب المقدس بمهديه ، القديم والجديد ، نعم .
لأقرأ فيه شيئاً . ولا بد أن ينسكب شىء مما فيه من الايمان
والأطمئنان على مافى نفسي من الجزع والقلق .

...

وأخذ الرب الاله آدم ، ووضعه فى جنة عدن ليعمل ويحفظها
وأوصى الرب الاله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكل ،
وأما شجرة « معرفة الخير والشر » فلا تأكل منها ، لأنك يوم
تأكل منها موتاً تموت

وقالت الحية الخبيثة للمرأة « أحقاً قال الله لانا كلام من كل
شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية ، من ثمرة الجنة تأكل ، وأما ثمرة

الكسيس كاريل

للاستاذ عبد الفتاح الديدي



عقلية من تلك العقليات الخصبة التي أفادتها الخبرة أكثر مما أفادتها المعلومات، وذهنٌ سوف متطلع إلى معاني الحياة بين المظاهر الماشية دون توقف عن حدود المساور والمقروء . فهو مثال الرجل الذي يحس الإنسان عند قراءته بأنه في حضرة مفكر ابتعد عن التفاصيل والتفت إلى السكيات ونظر في حقائق الأمور ، لا من حيث هي مبحث موقوف على نوع خاص من أنواع الدراسة ، وإنما من حيث هي مجال للتأمل والتدبر في كل حين ، وعند كل إنسان . فتقافته أكبر من تعليمه ، وتربيته أكثر من معرفته ، فجاءت كتبه حية ينبض فيها الدم ، عميقة

المعرفة نفسها — بنت الخطيئة — قد أوشكت أن ترد إلى آدم وحواء ما فقدوا من الحياة الأبدية حتى يخرجهما الله من جنته قبل أن تدلها المعرفة على شجرة هذه الحياة الأبدية الدائمة . فإنه بعد ذلك يقول الرب الأله : (هوذا الإنسان قد صار « كواحد منا » هارماً الخير والشر ، والآن امله بمد يده وبأخذ من شجرة الحياة أيضاً وبأكل ويحيا إلى الأبد) وأخرجه الرب الأله من جنة عدن « ليمس الأرض التي أخذ منها »

فهذا آدم الذي أخرج من الجنة بالخطيئة ، كاد أن يدخل في زمرة الآلهة بنفس الخطيئة

...

ومن الناس من يعيش الآن — على الأرض الملعونة — وهو سعيد ناعم ، كأنه في الجنة ، لأنه يعيش على هامش الحياة تلك الحياة النباتية التي لا تنفصل ولا تتأثر ولا تدرك إلا ما يحيط بها أو بمس خاصة شأنها أو طعام يومها . فهي في نعيم ولكنها بعيدة عن « نعيم » المعرفة . ذلك النعيم الذي لا يدرك ولا ينال إلا بالانقطاع وشجاعة القلب والنهن والمثابرة والأقدام

تأسر الالب ، واضحة وضوح المبقرية المنزلة . بعد أن اضطربت في كمينها عصارة العلم والفلسفة والأدب جميعاً .

ذاك هو الكسيس كاريل مؤلف كتاب الإنسان ذلك المجهول ولد في فرنسا بالقرب من ليون في سنة ١٨٧٣ . وبعد أن نال الدكتوراه ودرجة أخرى في العلوم سافر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٥ حيث اشترك في معهد روكفلر للأبحاث الطبية بنيويورك ولم يعد من هنالك إلى فرنسا مرة أخرى إلا بعد أربع وثلاثين سنة أي في عام ١٩٣٩ ، واشترك بعد هذا في أعمال حربية حتى نوبت من عام ١٩٤٤ حيث مات تاركاً وراءنا علمياً رائداً ومغنياً بمض الكتب من غير إتمام . ومن مؤلفاته كتاب عن الصلاة وكتاب بعنوان (الطب الرسمي وطب الزندقة) وقصة كتبها في سن الثلاثين بعنوان (رحلة مدينة لورد) . وهذه القصة بوحى من زولا ومطبوعة في مجموعة تضم يوميات وتأملات وأبهالات . أما كتابه عن « سير الحياة » فقد كان يزعم أن يجعله

وكذلك كانت حياة الرواد والمخترعين والمفكرين والقادة وكل أولئك الذين أفادت البشرية كلها من حياتهم ومعرفتهم وتفكيرهم وخطاياهم ، وقد دعا قال الشاعر العربي

ذو القفل يشق — في النعيم — بقله

وأخو الشقاوة — في الجهالة — ينعم

وكذلك يقول العامة « المجانين في نعيم . ا »

ولحكمة بالغة أراد الله لآدم وحواء أن يقاربا الخطيئة حتى يمرقا — ونسلها من بعدهما — الخير والشر ، وما قيمة الحياة بلا معرفة ؟

وفي كتب العقيدة الإسلامية والتفسير — وخاصة كتاب « المواقف » — مباحث بارعة عن الإنسان والملائكة وأيهما أفضل . ؟ الملاك الذي لم يقارف معصية لأن الله برأه من الشهوات والنزوات والرغبات وخلقه بفطرته للطاعة ؟ أم الإنسان الذي خلقه الله وركب فيه النوازع والرغائب وسلط عليه همزات الشياطين ؟

محمد الشرفاوي

أمر موقفنا منها بمد كل هذه التغيرات . وإذا كان العلم في حد ذاته قيمة ما ، فذلك لأنه يؤثر في كياننا بأجمه ويجعلنا نرتد إلى أنفسنا ونناقش أفعالنا ونجدد أخلاقنا . أما أن يكون العلم مدعاة للانشغال عن الإنسان بهذه الأشياء المارضة في حياتنا ، وبهذه المظاهر التي تنأى بنا عن الذوق والخير والصحة ، فذلك أكبر دليل على أننا لم نحتمط للثورة التي أحدثناها بأيدينا ، ولم ضد المدة من أجل أن نوجد مثالا حيويا يحقق آمال الإنسان وأمانه قبل أن يرضى مقامه وشموه .

ومن هنا حاول كاريل أن يؤكد ظاهرة التكيف وأن يضمها في الرتبة الأولى من مظاهر الحيوية الإنسانية . وذلك طبيعى بالنسبة إلى عقلية التي ترى ضرورة الموازنة بين علوم المصير الحاضر وبين حياة الإنسان في المجتمع . فالعلم الذي لا يفيد في استناد الإنسان إليه عند حل مشاكله المختلفة لا ينفع في شيء ولا يؤدي إلى نتيجة ذات قيمة . وظاهرة التكيف هي الأمل الوحيد الذي يفتح أمام الإنسان منفذا إلى حياة مستقيمة كريمة . بإزاء أحداث الحياة ودلائل الحضارة . ثم إن الدكتور كاريل يؤكدها ويبين خطرها وهو يعلم أن الأمر لا يقتصر على الاستفادة من جانبها الفسيولوجي ، وإنما يمتد أكثر فأكثر إلى الناحية الاجتماعية وهي الناحية الجديرة باعتبارنا لا نتصف بهمن الآدمية . فالفكرون والفلاسفة يعرفون ظاهرة الجسم الطبيعية في تكيفه مع البيئة ومع الحرارة والبرودة ومع المؤثرات الخارجية ، ويعلمون أنه قد كان من المستحيل على الأطباء أن يتقدموا قيد أعلة في علوم الجراحة والتضييد لو لم تكن هذه الظاهرة محل عنايتهم واهتمامهم . ولا بد لهم بعد ذلك أن يتقدموا بالتقدم الهائل الذي أحرزه الأطباء نتيجة لالتفاتهم إلى هذه الحقيقة . إذ أنهم يستطيعون في بابهم أن يقيموا علوما في غاية من الخطورة على أساس من بحثهم لظاهرة التكيف الاجتماعي .

فالمعاملات الحيوية العقلية تنجم إلى خدمة الفرد وإملائته على أداء مهامه . مثال ذلك أن الإنسان يتدفع مادة وراء فضوله ورغبة الجنسية ، ولطموحه وحب المال حتى يجد نفسه في أجواء غير مألوفة لديه أو لملها تصل إلى درجة الماداة له . وما هنا يحقق من ضرورة الغلبة والانتصار على الملصير التي تحيط به .

على طراز الإنسان ذلك المجهول ومكمله . إذ جاء كتابه الإنسان ذلك المجهول فريداً في غطه ، فذاً في نوعه ، ومشجعاً له على أن يتبعه بآخر من نفس الطراز . وقد أشتهر هذا الكتاب في الأوساط الثقافية جميعها : أوروبية وشرقية ، لما فيه من تجربة إنسانية عميقة ونظرة علمية مخرجة بروح صوفية جارية .

وقد حاول كاريل أن يوقف هذا الكتاب بصفحة الثلاثمائة على دراسة الإنسان من نواحيه المختلفة ؛ وكان يؤمن بأنه لا بد من أن نعطي تخطيطاً عاماً لما تقدمه لنا العلوم المختلفة من المساعدات إذا شئنا أن ندرك حقيقة ذواتنا وأن نقف على ماهية نفوسنا . ومن الضروري في رأيه — علامة على ذلك — أن نصف في تدقيق شامل وفي تفصيل كامل تلك العمليات الطبيعية والكيميائية والفسيولوجية التي تختفي من وراء ذلك الانساق الاجمالي في حركاتنا وأفكارنا . وكان مقدراً لهذا العمل أن يكون مستحيلاً لو لم تسمح لنا أساليب المعيشة في العصر الحديث من الملاحظة والتجريب ، ولولم تقدم لنا المعونة من أجل تحقيق هذه الرغبة الهائلة . فيفضل المنشئات العلمية التي تمنى بالفواحي المختلفة من الإنسان استطاع الدكتور كاريل أن يعد التفاته وأن يرمي بنفسه بمجالات الحيوية الكثيرة لدى الأفراد .

وليس لكتابنا هذا من غرض كما يقول هو نفسه إلا أن يجعل تحت أيدي الناس مجموعة من النتائج العلمية والحقائق الخاصة بالكائن البشري الذي يحيا في هذه الفترة بالذات . فلي هذا النحو يمكننا أن نلص جوانب الضعف في مدنيتنا ونحس بما بدأ يظهر عليها من أعراض التهاك والانهار . فإذا صح أن هناك طائفة معينة تخصها بهذا الكتاب الذي بين أيدينا فاعلمنا تلك الطائفة التي آثرت الهروب من حياتنا الاجتماعية والإفلات من أسرار طائفة الحديثة وقيودنا المصطنعة . والكسيس كاريل نفسه واحد من هؤلاء ؛ إذ آثر في آخر أيامه أن يعزل في جزيرة سانت جيلا حيث أمضى بقية عمره .

ولا تأمل كاريل حياة المجتمع الحديث أحس بأننا قد شغلنا المسائل الشكلية من أمور جوهرية في غاية الأهمية بالنسبة إلى الإنسان في معاشه ونصرفه ووجوده . ولعل حياتنا اليوم قد غدت أكثر صعوبة وتعقيداً وأشد اضطراباً وأدعى للتفكير في

في حياتنا الخاصة أو العامة . وإذا كان يمكننا القول بأن الزمن النفسى يعتمد على شيء سواء كان يكون ذلك الشيء غير الذاكرة الإنسانية . إن الذاكرة هي التي تجعلنا نحس بمرور الزمن وبتماسكه على قدر ما تمنينا الأحداث في الخارج أو تصوراتنا الخاصة داخل نفوسنا . والدليل على ذلك أن تكون شخصيتنا على وجه التعميم قائم على أساس من تذكرنا للتاريخ الفردى واستحضارنا لما جرى لنا في الأيام الماضية .

والملاحظة الثانية التي يسوقها كاريل في تعلقه على الزمن النفسى هي التي يعتمد عليها في تأييد وجه الاختلاف والتباعد بين كل من الزمن الفيزيائى والزمن النفسائى . فها هنا يذكر أن الزمن الطبى (الفيزيائى) الذى يمضى علينا فى سن الطفولة والبلوغ لا يزيد على ثمانية عشر عاماً ، بينما تزيد سنوات النضوج والشيخوخة في عمر الفرد على الخمسين أو الستين . فالإنسان يبدأ بفترة نمو قصيرة ثم يعقبها فترة تمام والنملاط طويلة . ومع هذا فإن الزمن الفيزيائى يفقد كل قيمة هنا تبعاً للشعور الإنسان بأن سنوات الطفولة طويلة وبطيئة بينما يحس أن السنوات تكون قصيرة جداً أثناء الشيخوخة . وهذا يثبت مفارقة عجيبة ويبرهن على أن الزمن النفسى محل اختلاف دائماً تقديره والإحساس به وتعداد جزئياته عند الأفراد .

وهنا يجرى قلم كاريل بفقرة تعد من أرفع ألوان الكتابة الأدبية . يقول « تبدو لنا أيام طفولتنا كما لو كانت بطيئة جداً . أما أيام نضجتنا فتمتاز بسرعتها التي تبعث على الفزع . وقد يكون هذا الشعور ناجماً من أننا نضع الزمن الطبى بطريقه لا شعورية داخل إطار المدة . ويبدو لنا الزمن الطبى مختلفاً من غير شك عن تلك المدة بصورة عكسية . إذ يتراق الزمن الطبى بسرعة واحدة بينما تنقص سرعته نحن دائماً . ويشبه ذلك نهراً كبيراً يجري في سهل ، ويمشى في ذلك السهل إنسان نشيط محاذياً النهر منذ طلوع النهار . وتبدوله المياه آنثد كدولة ولكنها تزيد من سرعتها شيئاً فشيئاً . وعند الظهيرة لاتسمح المياه لذلك الإنسان النشط بأن يخطأها . . أما إذا اقترب المساء فإنها تضعف من سرعتها ، وغالباً ما يقف الإنسان بينما يمضى النهر في طريقه بغير إشفاق . والحق أن النهر لم يغير قط من سرعته ولكن سرعة خطاها هي التي نقصت . ومن الممكن أن نعزو البطء الظاهر

أو أن يكبت الدوافع التي تشب في صدره وتتأجج في خاطره . ومن المستحيل أن يتم لنا العمل الأخير للقضاء على التزعات الباطنة من غير أن نمضى بالتكوين الفردى المستقل للإنسان . أما عن العمل الأول ، وأعني به التلية والصراع مع العناصر المحيطة والظروف المجتمعة ، فلا شك أن الإنسان يحتاج عند النزول إليه والاشتباك فيه إلى قوة شخصية ومطاقة نفسية تمنينه على أن يطمح ولا يطمع ، وأن تمتد يده بالحق ، وأن يضرب في صفوف الخير ، وأن يسمى بغير أن يسمى ، سميه إلى الآخرين . ليس هذا فعسب وإنما يدخل ضمن عملية التكيف الاجتماعى هرب الإنسان عند اللزوم . فالهرب لابد منه في كثير من الأحيان وخاصة عندما يستحيل النمو الصحيح والتكامل الشروط مع المجتمع الذى نعيش فيه .

فهناك أشخاص لا يستطيعون أبداً أن يتكيفوا مع الجماعة . من بين هؤلاء ضماط العقول ، ومن بينهم من سلم عقله ولكنه أمضى فترة طويلة بين الأشرار والأوغاد حتى استحبال عليه أن يصود من جديد فيتكيف مع الحياة الاجتماعية السليمة . وإن لم يستطع علماء الاجتماع أن يستفيدوا من هذه الظاهرة فأغلب الظن أن علومهم ستكون قليلة النفع بالنسبة إلى المستقبل . ومن هذا كله زى أن أهم ما في ظاهرة التكيف هو أنها تفتح أبواب الأمل للإنسان المسكين في تقدمه وارتقائه الذى يحدث على صورة وثبات ونهضات متفاوتة أو حركات طورية مستديمة .

ثم في هذا الكتاب الذى وضعه كاريل تفصيل دقيق لفكرة الزمن . ولأول مرة في تاريخ علم النفس يأتى باحث ليقدم مثل هذه الدراسات القوية العميقة في آن واحد . لقد حاول أن يحدد أنواع الزمن فجاءت أربعة من بينها زمن جديد بالمرّة هو الزمن الفسيولوجى . وكما استطاع كاريل أن ينتقل بظاهرة التكيف من مجالها المصغى المحدود إلى مجالات الحياة الفسيحة ، حاول ها هنا في كلامه عن الزمن أن يبرز أهمية الزمن الفسيولوجى من الناحية البيئية الخاصة . وهو في أصله عبارة عن الوقت الذى تستغرقه الجرح حتى يلتئم أو الذى يمر على المصو الجسدى إبان تكوينه . وتكلم بإفانسة عن الزمن النفسى فقال إنه نوع من القياس الشمورى لكمية المواقف والانفعالات التي تندفق من باطن الوجدان ومن داخلية الفؤاد ساعة تأثره وتجاوبه مع الوقائع الجارية

كالصحراء بحبيب حرمانى من معرفتك .. فلتأسر على الرغم من الخريف بأن ترهر الصحراء . وستكون كل دقيقة من الأيام التى تبتلى موقوفة لجلالك . ولا أطمع فى شئ من أجل نفس سوى رحماك . وسأبقى بين يديك كاللدخان الذى تحمله الرياح . فأعطينى النور حتى أقوى على إعانة أولئك الذين أحبههم . ومن كلامه أيضا فى هذا الباب : إلهى . خذ بزمانى بعد أن تهت فى الظلام . وسأفعل كل ما توحى على إرادتك بفعله . ينبئ أن أقرب من جلالك بإلهى بكل نقاء وتضرع . فكيف أصلح الشر الذى تحببت فيه للآخرين وآتى اليوم خيرا كنت قد قصرت فى فعله ؟

ومن ابتهاله ليلة عيد الميلاد : أى إلهى . كم آسف لأننى لم استطع أن أفهم شيئا فى الحياة ! وكم آسف لأننى قد حاولت أن أفهم أشياء من الميث أن نحاول فهمها . فالحياة لا تحتوى على الفهم وإنما على الحب ومساعدة الغير والصلاة والقيام بالأعمال . فليكن أجلى متأخرا بإلهى ، ولتأمر بأن تظل الصفحة الأخيرة من الكتاب غير مكتوبة حتى يمكن أن يضاف فصل آخر إلى هذا الكتاب الفاسد . تكلم فمبكك الحقير منعت لك . إنه يهيك مابقى له ، ويضجى من أجلك بحياة كالوكانت صلاة . إنه يطلب إليك أن تهديه سواء السبيل . . سبيل البسطاء والمحبين والمصلين فاغفر له كل الأخطاء التى جناها فى حياته . وأعط النور من كان جاهلا بالمره . فكل لحظة من الزمن تسمح له بأن يحياها ستمر لتحقيق مرادك فى السبيل الذى تختاره أنت من أجله . أبى إلهى . فى هذا اليوم الذى يمسد ذكرى ميلاد ولدك ، أجمل منك النهاية السكية لتلقى وأرسم عليك حدودى آسفا لأننى قد مررت خلال الحياة كالأعمى .

قال هؤلاء الذين يؤمنون بالباطن من أهل التصوف أقدم هذه الشخصية التى آمنت بالروح وهى فى أسفل مباحث المادة ، وتشرت بالزعة الصوفية وهى فى غمار العلم الخالص ، واستطاعت أن تنفذ إلى السماء بين ضوضاء المدينة المترفة وجلبة الحياة الصارخة وتناموس الطبيعة البسوط .

عبد الفتاح العبرى

فى بدء الحياة ، وقصر المدة الختامية إلى أن السنة كما نعلم تمثل لدى الطفل والشيخ نسباً مختلفة من حياتيهما الماضيتين ومع ذلك فإن الأكثر احتمالا هو أننا ندرك إدراكا غامضا متى زماننا الداخلى الذى يبطل إلى غير حد والذى يتمثل فى عملياتنا الفسيولوجية . وكل منا هو الانسان الذى يجرى على طول النهر ويمجج حينما يشتد تزايد سرعة مرور المياه .

وأخطر وأهم من هذا كله ما يقوله الكس كاربيل عن ظاهرة التصوف . والذى يمتاز به هذا الجانب النظرى فى عرضه هو أنه امتزج بروحه وصادف تجاوبا مع نفسه ولاتى ميلا واندفاعا هائلين من داخلية ذاته يؤيدان تفكيره وهواه . وحاس كاربيل النظرى فى المرض الفلسفى لهذه الظاهرة لم يكن مجردا من التجربة الشخصية ولم يكن محروما من التأيد الحيوى . فكاربيل متصوف قبل أن يكون فى عداد العلماء ، وجرت عليه زعته تلك متاهب كثيرة ، إذا اعتبره رجال الكنيسة خارجا على أحكام الدين . وبعض أقواله تذكرنا بالوثنيين الأقدمين . قال فى يومية بتاريخ ٣١ يولية ١٩٤١ « يستطيع الدين بقدرة فائقة أن يعين الانسان على ملاحظة قواعد الحياة بناء على ما يضيفه المنصر الماطى إلى المنصر العقلى . إن الناس مهبطون على نحو يجعلهم محتاجين إلى التجاوب سم كائن حتى أكثر من تجاوبهم مع فكرة ما . وكثير من الناس قد ضحى بحياة من أجل وطنه ، ولكن التضحية تكون أكثر إمتاعا إذا كان موتهم من أجل نابليون . إن حب الرجل أقوى من حب الفكرة . إن الراهبة التى تقوم منهوكة فى الراهبة سباحا كيا تبدأ عملا لا ينتهى أبدا ، إنما تبذل هذا المجهود الخفيف حبا فى المسيح وحبا للمساكين والصغار ، وليس ذلك من الشعور بالنيرية أو من الرغبة فى شغل عمل بين الناس . ولذلك فإن الدين يثبت فى السلوك منصرفا عاطفيا . فهذا الكلام على صحته وعمقه لا يلائم جماعة المتدينين الذين يريدون التجريد وزعمون الخلاص تجربة الروح بين أجراس الكنيسة وإنشاد الآباء .

ومن ابتهالاه التى نشرت فى نهاية قصة مدينة لورد قوله : إلهى : أشكرك لأنك حفظت لى الحياة أمدا أطول من الأمد الذى خصمت به زملائى الأقدمين . قبل أن تطوى الكتاب هبى من فذلك فضلا يربى ماخفى على حتى الآن . لقد كانت حياتى

الشعر المصرى في مائة عام

للاستاذ محمد سعيد كيلانى

من ١٨٢٥ - ١٨٨٠

الساعاتى

وقال :

وجه البسيطة ضاق عن جيش به رمت المدى فركبت هول الأبحر
وفيه مبالغة كاذبة . وفضلا عن ذلك فإنه عظم من شأن
المدو وأسبغ عليه من مظاهر القوة والثمة بما حمل المدوح على
تجهيز جيش كثيف ضاق به البر لياق به هذا الخضم العنيد الجبار
ولو كان الخضم ضيقا هينا لما احتاج المدوح إلى هذا الجحفل
الجرار .

ومنها :

سرم وجه البحر يلطم وجهه . أسفا على الأعداء كالنحسر
والسحب ترسل أدمع من حزنها والرعد يندب في قبائل حمير
والجحش مسود الجوانب طابس والبرق يضحك منه كالمتبشر
وفي هذه الأبيات صور الطبيعة عابسة حزينة باكية على ما
سيلاحق الأعداء من الخطوب . وهذا لا يحدث إلا إذا كان
المدو عظيما . فالطبيعة لا تبكى إلا على عظماء الناس .

ولا شك في أن الشاعر لم يكن موفقا حينما حشر هذه
الأبيات في هذه القصيدة . فن المستقيم أن يخاطب المدوح بمثل
هذا .

وقال :

والجاريات تأزرت بقلوعها والريح قد لعبت بفضل المئزر
رقصت على نفر النسيم بدفهما وتمايلت بالتيه كالمتكبر
شبه السفن بالنساء وقد تحجبت بالقلوع . وبقي من كل قلع
جزء أضحي لمبة في يد الرياح تهركه كيف شاءت . وهذه السفن
ترقص حينما يتفر النسيم على دفها . وتميل تيهها وكبرا . ونسى

الشاعر أن الرقص والتمايل مما لا يستحب في السفن . لأن السفينة
لا ترقص إلا إذا تعرضت للاخطار وهاقت بها الزواجر والمواصف .
حينئذ لا تقوى على السير ولا تستطيع أن تشق طريقها فتعلو
وتتخفف بفعل الأمواج . وهذا هو الرقص الذى يريده الشاعر .
ولا ريب في أن التوفيق قد أخطأه . والسفينة لا تميل تيهها
وكبرا ، إنما تميل ضعفا وعجزا ، وتكون عرضة للفرق بمن فيها .
ونسى الشاعر الجنود الذين في هذه السفن . ولو أنه خلع من
باس هؤلاء المساكين وقوتهم صورة للسفن فيها روعة وجبروت
وعزة لكان ذلك أنسب للمقام ، ولا سيما أن المدوح ذهب للقتال
والنضال . فتصوير السفن بالنساء المتحججات لا يتلاءم مع الجو
الحامسى الذى ينبغي أن يخلق في هذه الحال . على أن الساعاتى قد
أجاد وصف هذه السفن في قصيدة أخرى حيث يقول :

وشقت لهم صدر العباب سفائن بدت كجبال تحمها البحر أزيدا
رمتهم بأمثال الصواعق أضمرت فكاد بها الدماء أن يتوقدا
ففي هذين البيتين ترى صورة مرعبة مخيفة . وهى من غير
شك مناسبة لمقام الحرب . وللساعاتى أبيات في وصف بعض
السفن البخارية التى كان يملكها سعيد باشا ، ومنها :

وقلاعها مثل القلاع شواق تحت البنود ومشيها خيلاء
وقد آتى في هذه الأبيات بما يتفق مع الطابع المسمى الذى
انتمت به الرحلة السعيدية إلى الأقطار الحجازية .

وقال :

طارت بنا نحو الحديدية سرعة مثل السوابق في المعاج الأكر
حملت لها جيشا منذ اقتبذت به غريبها وضمت أسود المسكر
من كل مولود لديها لم يزل في النقع يلعب بالحسام الأبت
بعد أن شبه السفن بالنساء رقص وتميل استطرده قصورها
حينما طارت نحو الحديدية بالخيل العوايس الجبارة .

وفي هذا تناقض بين صورة النساء المتحججات وبين الخيل

العوايس . وفي البيت الثانى نظر الشاعر إلى قصة مريم . فشبه
السفن بالنساء الخوامل . فلما وضعت جاءت مواليدها أسوداء .
وصورة الحمل والوضع من الصور للضعيفة . وخير من هذا قوله :
رمتهم بأمثال الصواعق أضمرت فكاد بها الدماء أن يتوقدا
وقال :

والمنى في البيت الأول جيد . غير أن الصورة التي في «مبعر»
لا تذكر بجانب الصورة التي في «مجنول» أما البيت الثاني ففي
منتهى الضعف . وقال :

اسد إذا زعوا الدروع لرغبة في حثفهم لبسوا دروع تصبر
قسوم عصوا إلا لأمر أميرهم ملك بفعل خطيئة لم يأسر
والمنى في البيتين تافه . وتكرار «أسر» و «أمير»
و «يأسر» جعل البيت الثاني ثقيلا على الأسماع .

وقال :

فضحت مناقبه الملوك وأظهرت تقصير كسرى عن علاء وقيصر
وهذا من لثو الكلام الذي دار على ألسنة الشعراء في ذلك
الدور . ومنها :

فتح المالك لالكثرة رغبة فيها ولكن رغبة في الفخر
والمنى هنا تافه جدا . وفصلا عن ذلك فأين هي المالك التي
نتحها ابن عون ؟ وقال :

ولقد نحاهما والبنود خوافق والزعب في قلب الحسين وحيدر
والحسين وحيدو كانا من أسراء اليمن في ذلك الوقت . ولكن
ذكرهما على هذه الصورة لا يتفق في قصيدة بمدح بها ابن عون
الذي يدعوه الشاعر بأبن بنت الرسول . فلهذين الاسمين من الإيحاء
ملا يخفى .

(يتبع)

محمد سبير كبروني

ولدا على مهد الملا وقد اغتدوا بدم المدى وتكحلوا بالمشير
ففي قوله « ولدا على مهد الملا » معنى جيد . أما بقية البيت
فتروح بصورة كريمة . وأخلق بمن يتكحل بالمشير أن يصاب بالعمى
وقال :

رفعوا الخيام على النجوم وأوقدوا في الأرض نارا بالقنا المتكسر
وقد أغرم الساعتي بهذا المعنى فجاء به في قصائد كثيرة .
وهو من القوم الذي لا طائل وراءه . وقال :

ولقد أقاموا بالأسنة سوقها في يوم حرب بالسيوف مسمر
فقصت بيع المعتدين سيوفهم للنسر لما غاب عنهم المشتري
ومعنى البيت الأول مأخوذ من قول الشاعر

أقنا بالذرايل سوق حرب وسيرنا النفوس لها متاعا
والبيت الثاني جميل المعنى غير أنه أخطأ في التعبير عما يريد .

يريد أن يقول إن الجنود لم يمسدوا من يشتري منهم المعتدين
فقتلهم وركبهم نهبا للنسر . فذكر أن جيش المدوح لما عدم
مشتريا باع الأعداء للنسر . وفي هذه الحال يكون النسر مشتريا
فلا محل لقوله « غاب عنها » المشتري . ولو قال :

فقصت بمنح المعتدين سيوفهم للنسر لما غاب عنها المشتري
لكان موقفا . وقال :

وتواثبوا نحو الحصون فزرت والقوم بين مجنول ومبعر
حتى إذا اقتلوا القلاع وأسبلوا ذيل المغاف رأيت كل مشعر

ادارة البلديات العامة

تموين

تقبل المطامات ببلدية ملوى لفاية
ظاهر ٩ مارس ١٩٥٠ من عملية
دهان أعمدة الشبكة الكهربائية وتطلب
الشروط من بلدية ملوى نظير
مائتي مليم بخلاف أجره البريد .

٤١٧٤

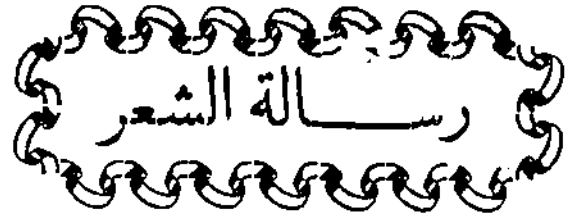
(نشر بهذا الاعلان بالعدد الماضي (٨٦٧) شهر ٩ مارس
سنة ١٩٥٠ والصواب ظهر ٩ مارس سنة ١٩٥٠)

ادارة البلديات العامة

حدائق

تقبل المطامات ببلدية بور سعيد لفاية
ظاهر ٩ مارس ١٩٥٠ عن توريد
الفي قنطار برسيم وتطلب الشروط
من بلدية بور سعيد نظير مائة مليم
بخلاف أجره البريد .

٤١٩٥



قفر وسراب

للاستاذ إبراهيم الواصل

—♦♦♦—

ومشرد في البیدضل طريقه ما بين اودية وبين شهاب
يطوى الظلام وللرياح مناحة الشوك ملء طريقه فاذا مشى
اوراج ينتبذ الكموف توثبت وبلاد كم أسدى ودون تملتى
لى مثل غیری فی الحیاة رغائب وبغضی الظلمای زرع مؤمل
ماذا جنیت من السنین عمری ماذا جنیت من السنین عمری
أقنيتها لشيخة موروثه وخسرتها وهي الشباب فلم أفد
ودفنتها بين الصخور وأبت من قفر وماق القفر غير سراب ؟
اكذا عوت كأموت رغابي ؟ -
ياى الحیاة عوج بالأوصاب كخفوق طيف أو كلع شهاب ؟
عن سالف الأيام والأحقاب منها سوى أنى خسرت شبابی
تأريخها القبر ورثر مآب :

ضيعت في دنيا الظلام شبابی وطفت المحه وراء ضباب
حيران يستهدى الطريق فلا يرى في وكب الظلماء غير يباب
ومتيمه جرداء إلا غابة نبتت على الاشلاء والأسلاب
تقوى الذئاب حياها مسورة وعمد للهارين أفطع ناب
والريح تعصف صرصرًا مجنونه كزيف جن أو هدير عباب
ضيعته ما بين تلك وهذه فضى وما أدركت فيه طلابي
دنيا وما كادت تراقى موكبي حتى طواها اليأس طي كتاب
وتناثرت كالروض ريع بماضى او كالعنادل فوجئت بعقاب
حسب الحوادث ما يؤجج في الحشا نارا وما يطنى على الأعصاب
أطوى الحیاة ومثل أمسى ذاهب بوي ، وأمسى أحمر الجلباب
سديان لكنى أعب عصارة همى في فى نار وفى أهداي
أين الكروم الوافات عدى بألذ ما تهدي يد الأعصاب ؟
أو كلما قربت كأمى من فى طفعت شواظا وارتمت بلهباب
أورحت أستجلى السماء بنظرة لالت عليها السحب فغل نقاب
يا سمرين وللطللى اشراقة شتان بين شرابكم وشرابى
ان شاقكم رشف الكئوس فان لى بالهم ما يغنى عن الاكواب
أو بات يطربكم مدى أنشودة مرناة فلقد كفانى ماى
ذوبت قاي في حنايا أضلنى وصبغت قيشاى به وربابى
وبشت أنفامى نشيد مكمل صب الطغاة عليه سوط عذاب

رحماك يادنيا وحسبك ما أرى فلقط أطلت مع الزمان حسابى
مالى وللشكوى وأعظم محنة شكوى الفریق لمزبد سخاب ؟
ولن أحرق باللهيب جسوانحى وأزم فى الوادى الخفيف ركابى
أستبذل لا يعل سياسة جبلت على التنكيل والارهاب ؟
أم للسياط على المتنون خضيبية بدماهم من تكبروا على الأعقاب ؟
أم للهباء كل أستجير بظلمها فاذا برمت بها فبا لأنصاب ؟
أم للخشارة لم يسكلل مجدم بسوى النعوت السود والألقاب ؟
يستمرئون الميش غير مكدر من جهد كل ممزق الجلباب ا
ويشيدون بيونهم معروشة بأ كف من ركوا على الاعقاب

رحماك يادنيا وشر بليّة جيل يظل مشرد الألباب ا
وبيته في بيداء موحشة الرؤى والنجم مكدود الملامح كابى
للا ولا وخلف الليل لجر فاغفرى لى هذه الشكوى وصرعناى
واستقبل المهد القريب فرما تحمى الفيوم نضارة الأعصاب

ابراهيم الواصل

الأدب والفن في كسوح

للاستاذ عباس خضر

أنفاس محترقة :

لست أدري لم لا يلمح الآن اسم الشاعر محمود أبو الوفا ، ولم لا ينال حقه من التقدير اللائق به ، حتى كاد ينساه من عرفه من أهل الجيل ، وحتى كاد يجهله الشادون من الجيل الجديد ، وهو الذي قال فيه أمير الشعراء منذ ثمانية عشر عاما :

الببل الفرد الذي هز الربا وشجا الغصون وحرك الأوراق
سباق غايات البيان جرى بلا ساق فكيف إذا استرد الساق

وهو نفسه الذي قال ما قال ولا يزال يقول من الشعر ما يقوم حجة على أن الشعر ما زال حيا على رغم قالميه من قائله ..

لقد سمعت بديوانه الجديد « أنفاس محترقة » وقضيت في روضه أوقافا طيبة ، ومما قرأت فيه رثاؤه لنفسه ، إذ يقول :

في ذمة الله نفس ذات آمال وفي سبيل الملا هذا الدم الغالي
بذلك لم أذق في العمر واحدة من الهناء ولا من راحة البال
كأنني فكرة في غير بيتها بدت فلم تلق فيها أي إقبال
أو أنني جئت هذا الكون عن غلط

فضاق بي رجه ، المأهول والخلالي

لست أدري لم تحترق هذه الأنفاس ، ولم يضيق بصاحبها الرب ، ولم لا يأخذ هذا الشاعر مكانه من قبة الشعر العربي في هذا العصر ؟

ولكنني أدري .. إنه رجل فقير أبي يضع نفسه حيث تحلق شاعريته ، يمشي على عكازة ويوضع الصخر في طريقه ، كما قال يخاطب فكتور هوجو :

يا صاحب البؤساء جاهدك شاعر يشكو من الزمن النائم المائي
لم يكفه أني على عكازة أمشي فحط الصخر في طريقي

لو كان محمود أبو الوفا من ذوى النفوذ أو المال في هذا البلد ، أو حتى مدير إدارة في أية وزارة ، لكان أمير الشعراء ..

والحق أنني قبل ظهور هذا البديوان لم أكن قرأت كثيرا لأبي الوفا ، وإن كان القليل الذي قرأته له من قبل قد هزني ، ولعل ذلك - أي قلة القراءة - يرجع إلى انزواء الشاعر في العشرين سنة الأخيرة أو إغلاله من النشر ، ويبدو لي كأنه منطويا على نفسه لما لاقاه من أخلاق الناس وعنت الأيام . وهو يعبر عن مكافحته في الحياة ، وبصور حياة الكفاح الشمورى التي عاشها ، أقوى تعبير وأصدق تصوير كما رأيت في الأبيات المتقدمة التي وثق بها نفسه وبمدها يقول :

أبي وفي النار مثوى كل والدة ووالد أنجبا لبؤس أمثالي
خلفتني فوضت الحبل في عنقي تشده كف دهر جد ختال
ما خرك لو من غير صاحبة قضيت عمرك شأن الزاهد السالي
وهو يقول في قصيدة « قلب الفنان »

أمشي وقلبي على كفي أقول ألا من راغب في فؤاد صادق حالي
يحب حتى كأن الأرض ليس بها إلا زنايق من آس برسوسان
وليس في الأرض من بغض ولا إحن وليس في الأرض ظم وطفیان
وليس من فوقها إلا سواسية من الصحاب ومن أخذان أخذان
فلا وربك هذا القلب ما التفت عين إليه فيا للبائس المائي
وفي هذه الأبيات نرى نزعة الإنسانية الصافية ، فهو على رغم ما يكابده من الحرمان والسكران يحب ، متخيلا أن الأرض كلها روض جميل ، وأن الناس يعيشون عليها إخوانا متحابين لا يبشئ بعضهم على بعض ، وهو يحب ولو أن عينا لا تلتفت إلى قلبه البائس الخالي

ومن النزاع بين نفسه المتفتحة للحياة وبين الحياة العائسة له قوله

أحب أضحكك للدينا فيمنمنى أن عاقبتني على بعض ابتساماتي
هاج الجواد فعضته شكيمته شلت أنامل صناع الشكيات
وهو يبتكر البكاء فيقول في آخر قصيدة « وقفة الوداع »

تلم يا هزار الروض مني أنا لمن النواج ولا فبخارا
غيري من بقلد حين يبكي ولكني أنا الباكي ابتكارا

ولا تستطيع ضرورات الحياة
التي يجاهد من أجلها هذا الشاعر
أن تحول بينه وبين التفريد
والتمنى بالجمال ، يقول في قصيدة
« جمال مصر »

جمالك يا بذت مصر كعصر
يجمع كل فنون الجمال
في مصر حلى النسيم اعتدال
وفيك يحلى القوام اعتدال
وفيك من الشمس حسن الصقال
وبعد المنال وبذل النوال
وفيك السهول وفيك الربا
وعنف الشمول ولطف الشمال
تباركت يا نيل هذا جنالك

وهذه الخابل من ذى الخلال
بل حتى فيما يمر به عن
آلامه تغلب عليه روح التطلع
إلى الحب والخير والجمال كإرابت
في أبياته السابقة . وهذا وذلك
ومجرد قوله الشعر ، يدل على أصالة
هذه الشاعرية وقوة بذرها وعمق
جنورها ، فهي كنبته الصحراء
تثبت قوية رغم الجفاف وحرمان
التمهد ، ثم تميز رغم ما يصطلح
عليها من الأنواء .

وقد أكتبه عمراك الحياة
والاحتكاك بالقساة من الناس
الذين لا يصمدون إلا عن
الأهواء والأغراض - أكتبه
ذلك نفوذ بصيرة إلى دخائل
النفوس ، فتغلغل إليها بأداته
الشاعرية ، يقول تحت عنوان
« جاء » :

تشكول الأسبوع

□ احتفل يوم السبت الماضي في عيد الميلاد الملكي السعيد
بتوزيع جوائز فاروق للبحوث العلمية في جامعة فاروق الأول
بالاسكندرية ، وقد استحق جائزة العلوم الاجتماعية كتاب
« التمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية » للنفور له الشيخ
مصطفى عبد الرزاق باشا ، واستحق جائزة علم الحيوان
الدكتور كامل منصور الأستاذ في كلية العلوم ، واستحق
جائزة علم النبات الأستاذ حسين سيد الأستاذ المساعد بكلية
العلوم ، واستحق جائزة الجيولوجيا المصرية الأستاذ محمود
ابراهيم عطية مدير الساحة الجيولوجية .

□ ألقى معالي الدكتور طه حسين بك كلمة في الاحتفال
بتوزيع جوائز فاروق ، لمس فيها بحث الشيخ مصطفى
عبد الرزاق في الفلسفة الإسلامية ، بأنه خالف الباحثين
شرقيين ومشرقيين الذين كانوا يردون الفلسفة الإسلامية
إلى اليونانية ، أما هو فقد التمسها عند الملحن أنفسهم إذ
تتبع العقل الإسلامي من منشئه حتى ترجمت له آثار اليونان
فالتقت الفلسفتان وأثرت كل منهما في الأخرى .

□ استمع مؤتمر يجمع اللغة إلى بحث للشيخ ابراهيم حروش
في موضوع رسم الصحف واختلاف وجهات النظر في تنبيهه ،
فأرى المؤتمر أن لا ضرورة في اتخاذ قرار في هذا الشأن .

□ تنقذ لجنة الأدب بالجمع في هذا الأسبوع للبت في
المسابقة الأدبية لسنة ١٩٤٩ - ٥٠ ، وينظر أن تعلن
نتيجة هذه المسابقة في خلال شهر مارس القادم . والمسابقة
تقتل على البحوث الأدبية والقصص ، وكان الشعر قد استبعد
منها .

□ لا يزال الأستاذ سيد قطب في بعثته العلمية بأمریکا ،
وقد كتب في مجلة « fulcrum » التي تصدر في مدينة
جريل بكلورادو مقالا بعنوان (العالم ولد عاق) بين فكرته
على الأسطورة المصرية القديمة التي تتضمن أن التاريخ كان
في جولة التي يقوم بها لتتبع الأحداث وتسجيلها ، وقد
جرى على أن يسأل الآلهة عما يفسد عليه ، فشاهد امرأة
تعلم طفلا ، فسأل الإله عن ذلك ، فأجابته بأن المرأة هي
مصر وأن الطفل هو العالم ، وترمز الأسطورة إلى أن مصر
هي أم الحضارات . وقال الأستاذ سيد : إن العالم بدأ أن
كبر عى أمه ومملته مصر ، فأمریکا مثلاً أخذتها في تغايلها
السياسية ووقفت مع أعدائها ضد الحق الذي هو في جانب مصر .

□ صدر أخيراً ديوان (جنى الأيام) للأستاذ عبد الحميد
مصطفى خليل . وهو حافل بمصائد ممتعة في الأغراض المختلفة

لا تله إن لم يملك بجاء
هو قد باع نفسه واقتناه
فقرام إن باعه دون ربح
أو بشيء أقل مما اشتراه
وكم هو ظريف في قوله :

أخى قسلى ولا تنحجل
بماذا قد رقيت ؟
وما أنت بذى جاء
وعمرى ما زوجت ا
أما بعد فما مكان هذا الشاعر

بين شعراء هذا العصر ، وماضى
مدرسته ، وما هو مذهبه ؟ أسئلة
يردها النقاد ويلحون بها على
الشعراء ، ويطيلون النظر فيما
وراءها . ولكن أبا الرافلا يلتفت

إلى شيء من ذلك ، فهو يدع
النقاد ، عليه أن يقول وعليهم
أن يسلبوا قوله فيما « يذهبون »
من المذاهب ، كما كان الشعراء
يقولون للذهبيين : إنا نقول
وعليكم أن تمرؤوا . وكأني بشاعرنا
لا يمتد إلا بأمرين هما قوام
الشعر فيما أرى :

الأول خصب الشعور
وسدقه ، والثاني اكتمال الأداة .
وقد اجتماعه فأنجبا ما نحسه في
شعره من النبض والجمال ، وحسبه
أن صور حياته تصويرا يطل منه
الفكر اللامع وتنبعث منه
الأنغام المطربة .

إن ديوان « أنفاس محترقة »
يعيد إلى الشعر اعتبارا بعد أن

ومن هذا الرد قوله - فهم معالي الأستاذ من الأمر الرابع وهو إطلاق السماع من قيود الزمان والمكان أني أقصد السمع من العرب وقال إن علماء اللغة الأقدمين قد وضعوا قواعد للتعريب ولم يظفروا إطلاقاً والذي قصده من إطلاق السماع ألا يظن مقصوداً على ما سمع من العرب الذين جملوا لهم حق الوضع والتعريب وإنما يجب قبول من المحدثين أيضاً ، فكما قبلوا من المتقدمين أن يقولوا أيقم الكلام فهو يافع والقياس مرفوع ، وغلام أموى بالفتح والقياس الضم ، تدل من كذلك من المتأخرين أن يقولوا مطار أظاظه وكان القياس أن يقولوا مطير ، وأن يقولوا متحف الحضارة وكان القياس أن يقولوا متحف بالضم ، وأن يقولوا متهى بالفتح بالفتح وكان القياس أن يقولوا متهى بالضم . فانا لنكلف الناس شططا إذا أردناهم على أن يعودوا فيقولوا مطير ومتحف ومتهى .

وقد دارت المناقشة بعد هذا البيان ، فقال الأستاذ أحمد المواصرى بك - فهمت من كلام الأستاذ الزيات أنه يوصى بأن نأخذ من الصناع وأصحاب الحرف الأسماء التي يطلقونها على آلاتهم وأدواتهم دون أن نناقشها ونلتزم وجه الصواب فيها فندم أسماء يطلقونها على أجزاء السيارة منها ما يمكن أن يرد إلى ألفاظ عربية ، ومنها ما لا يمكن أن يرد ، فأما ما يمكن توجيهه فلا أخالف الأستاذ في قبوله ، وأما ما خالف قياس العربية فلا يمكن أن نقبله ونثبت في معاجنا ، وعندنا مثلا كلمة مطار فالعامة وجهور المثقفين يستعملونها وقد بحثتها ووجدت لها وجهها في العربية ، ولذا لا أمانع في استئصالها بدلا من كلمة مطير التي لم تجر على الألسنة وعندنا كلمة متحف بضم الميم ، وقد شاع على الألسن نطقها بالفتح وهو خطأ ، فهل نترف بهذا الخطأ وندخله في معاجنا ؟

قال الأستاذ فريد أبو حديد بك - لماذا لا نقول متحف بفتح الميم ؟ أليس في العربية «محجر» اسم للمكان الذي تكثر فيه الحجارة ؟ ولنا أن نقيس من الجوامد كما نقيس من الشقق فنسمى المكان الذي يضم تحفا كثيرة متحفا بفتح الميم .

وقال الأستاذ الزيات - بعض الكلمات التي ليس لها أصل مربي معروف مثل (الرابوب) وهي الفأرة الكبيرة التي يستعملها التجار ومثل هذه الكلمات يجب أن ندخل المعجم .

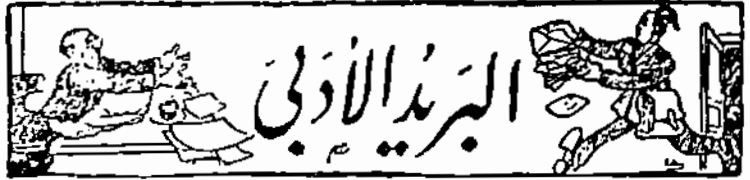
وقد تفرعت المناقشة إلى نقط أخرى ، ثم وافق المؤتمر على إحالة مقترحات الأستاذ الزيات إلى مجلس الجمع لطرحها فيه في متسع من الوقت .

انصرف كثير من الناس عن قراءته لكثرة هذر الشاعرين ، وأنا زعيم بأن هؤلاء المنصرفين ، إذا مرض لهم هذا الديوان ، لن يستطيعوا عنه منصرفا .

من المورثين في الوضع اللغوي

عرض على مؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية في جلسته الأخيرة ، المقترحات التي انتهى إليها الأستاذ أحمد حسن الزيات في محاضرته التي كان ألقاها في أول انعقاد المؤتمر عن « الوضع اللغوي وحسب المحدثين فيه » وقد أبيت من قبل بأتم ما دار من المناقشة بين أعضاء المؤتمر على أثر إلقائها . وقد استؤنفت المناقشة في هذه الجلسة الأخيرة ، فبدأها الأستاذ الزيات بالرد على ما كان قد أبداه بعض الأعضاء من الملاحظات ، بين أن قرارات الجمع السابقة تتناول الولد والقياس ، فيبقى من المقترحات الأربعة اثنان : فتح باب الوضع للمحدثين ، وإطلاق السماع من قيود الزمان والمكان ، ثم قال : يخشى صدقي الدكتور أحمد أمين بك أن يكون في فتح باب الوضع على مصراعيه مقتحم للفوضى في اللغة فيكثر الترادف بتمدد الوضع ، وقد احتطت أنا لذلك فجعلت الكلمة العليا للمجمع في إقرار الوضع ، إذ قلت : فأيا كلمة توضع لا تدخل في متن اللغة قبل أن يسمها بمجسمه ويدخلها في معجمه وإذا انتفت الفوضى بقي الحق مطلقا لكل متكلم يريد أن يعبر عن ذات أو معنى لم يوضع له لفظ من قبل . وقد توقعت من اختلاف الرأي في مدى هذا الحق ، ومن تزمت قرار المجمع في استعمال الولد ، أن لجنة المعجم الوسيط ستفعل ما وضعه المحدثون وما عربوه ، فلما قرأت حرف الألف من هذا المعجم تحققت ما توقعت ، فإن هذا الحرف قد خلا أو كاد يخلو من الأوضاع التي استحدثتها الحضارة واقتضتها الصناعة والزراعة . وأنى الأستاذ بأمثلة كثيرة لذلك ، منها أنه ذكر في مادة أبر : إبرة الخياطة ولم تذكر إبرة الحياكة ولا إبرة الحقن ولا إبرة البندقية ، وذكرت الأسطوانة للسارية المبنية ولم تذكر الأسطوانة التي يسجل عليها الصوت ، وذكرت الآنسة بمنناها القديم ولم تذكر بمنناها الجديد وهي الفتاة البكر ، وفي مادة أنف لم تذكر محكة الاستئناف ، إلى أن قال : وهناك غير ذلك كثير من ألفاظ الصناع والزراع أغفلها المعجم وفي يقيني أن المعجم الوسيط وهو أكثر معاجم الجمع دورانا بين الناس لا يبنى من اللغة شيئا إذا أنقض رأسه هو أيضا للأوضاع الجديدة .

ثم رد الأستاذ الزيات على ملاحظات معالي الأستاذ الشيباني ،



الاداء النفسى فى القصة المصرية القصيرة:

منذ أسابيع ، وأنا أرقب من منظار النقد محاولة جديدة فى بناء القصة المصرية القصيرة ، وكانت نفسى وأنا أرقب هذه المحاولة ، موزنة بين الإعجاب بالخالص والاشفاق بالبالغ . أما الاعجاب فبهته أننى كنت -- منذ أمد بعيد -- أنطلق إلى ذلك اليوم الذى أعثر فيه على « الأداء النفسى » وقد غزا ميدان القصة ، بعد أن عثرت عليه وقد غزا ميدان الشعر .

وحين عثرت على هذا الأداء -- فجأة وعلى غير انتظار -- غمرتني هذه النشوة التى تنمر كل صاحب فكرة تخليها وجهة من وجهات النقد ، وتحققها دورة من دورات الزمن ... ومن هنا كان هذا الاعجاب الخالص بتلك المحاولة التى بدأها على صفحات « المصرى » منذ أسابيع ، ذلك القصاص الشاب زكريا الحجاوى ! وقلت لنفسى بعد أن قرأت له أول قصة : ترى أياكون هذا القصاص قد اهتدى إلى النبع ، نبع الأداء النفسى الذى كم تمنيت أن تكون أول ريشة تنمى فيه هى الريشة المصرية ؟ وامتزج الاعجاب الخالص فى نفسى بالاشفاق البالغ ، خشية أن تكون قصته الأولى رمية أصابت الهدف من غير قصد !... ونشر الأستاذ الحجاوى قصته الثانية وإذا أنا أرجع إلى نفسى وأراحم إشفاق : لقد كان المنهج المرسوم والهدف المقصود واحداً فى القصتين ، ولم تهتز الريشة فى يده . إنما تتجه إلى النبع الذى كنت أنطلق إليه فى خط مستقيم لا انحراف فيه ! وبقى الاعجاب كما كان وتبخر جزء كبير من الاشفاق ... وحين دفع القصاص الشاب إلى القراء بقصته الثالثة ومن بعدها الرابعة ، أدركت تماماً أن هناك محاولة جديدة خلقت قصة جديدة ، أو بدء محاولة تخطو إلى غايتها فى وهى وثبات وهى مفتوحة العينين !

فقد اهتدى القصاص الشاب إلى النبع ، وتلك محاولة من حقه علينا وعلى تاريخ الأدب أن نسجلها له ... ونحن الذين قد فئنا من جانبنا بتلك المحاولة التى تهدف إلى مذهب جديد فى النقد

هو مذهب الأداء النفسى فى الشعر ، يسعدنا أن نعثر بين الكتاب المصريين على من يبدأ بمثل هذه المحاولة فى ميدان آخر هو ميدان القصة القصيرة . ذلك لأننا، طالباون فى هذه الفترة من حياتنا الأدبية بأن يكون لنا كيان فنى قائم بنفسه مستقل بطابعه ، أعنى أنه قد آن لنا أن نتخطى مرحلة المحاكاة الناقلة إلى مرحلة الأصالة الخالقة ، أو مرحلة الجلوس حول موائد الغير إلى مرحلة الجلوس حول موائد الخاصة !

... يريد هذه المحاولات (المذهبية) المستقلة وتدعو إليها فى كل فن من فنون الأدب ، فإذا تحقق هذا الحلم الجليل واستجاب له كل كاتب فى محيط مواهبه الأصيلة وملكانه الذاتية ، أمكننا أن نظفر بذلك « الأدب المصرى » الذى تنسب فيه كلمة « المصرية » إلى منهجه الفنى المتفرد بطبيعة التفكير وطريقة التعبير ، قبل أن تنسب إلى موطنه الذى يضيق عاياه ظلال البيئة ويفرمه بأضواء المكان !

إننا نبارك هذه المحاولة الجديدة ونلفت إليها الأنظار ، وهى المحاولة التى طبقها الأستاذ الحجاوى على قصصه الأربع : « يوم الزفاف » و « وأنا قد بس » و « الطريق الخامس » و « الشارع المسدود » ... وليش أن هذا القصاص المصرى الشاب أنه لو سار على هذا « المنهج النفسى » الذى اختلعه لفنه فى بناء القصة القصيرة ، ليثق كل الثقة من أننا سوف لا نكتفى بتسجيل محاولته ، بل سنعمد إلى وضعها تحت مجهر النقد الذى يكرس وقته وجهده لتحليل كل ظاهرة مذهبية جديدة فى حقل الأدب المصرى الحديث .. علينا هذا ، وعلى الأستاذ الحجاوى أن ينهض بإتمام محاولته !

سهر من الذاكرة :

فى مقالنا الذى ظهر فى العدد الماضى من الرسالة وردت هذه الآية الكريمة : « ورأى جداراً يريد أن ينقض » ، وهو سهو من الذاكرة ... وصحتها : « فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض »

أشور العصارى

هل الشوايب كلمة عربية ؟

أذكر فى جلسة بدوة الرسالة أن تملقنا حول الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات ، وتطرق الحديث إلى شئون وشجون حول انحرافات اللغة العربية ولهجتها فى الأقطار الناطقة ، وكم كان جيلا

يا دمع الذكري حنانك أخفق
يا قلبي الملهوف هل لك سلة
أبناء والدكري حياة طرفة
قد كنت لي عوناً فصرت بغيره
قد مر عيشي بمد فقدك علقها
وألفت أكناد الحياة كربة
لو كنت حياً لم تكن لي غصة
أشتاق طيفك في المنام يزورني
فأزور قبرك في القعدة يهزني
وأطواف بالقبر الذي أودعته
ويطول بي التطواف غير ملولة
ويظل صوفي هاتفا في كربة
وأروح من بعد الطواف حسيرة
أبناء إن بكى الرقاق فقد بكى
وبكى إخوانك إذ رحلت مصافيا
وأنا التي أبكيك . كثر أبوة
أبكيك قلبا خافقا في رحمة
أبكي مناهدي ، وظل هناة
فلئن ذكرتك في منيبك ، إن لي

وداد صادق عنبر

إدارة البلديات العامة

مباني

تقبل المطامات بلدية طنطا لثاية
ظهر ٩ مارس ٩٥٠ عن عملية
بناء دورة مياه لمحلة الكهرباء
وتطلب الشروط من بلدية طنطا نظير
مائة مليم بخلاف أجرة البريد .

٤٢٣٣

أن يدلى كل منا بدلوه . فقد كنا خليطاً من أبناء تلك الأقطار أو
رواد بعضها أو من المارفين ببعض اللغات الأوروبية .

ودار الحديث حول بعض ألفاظ من اللغة الفرنسية ذوات
أصول من اللغة العربية مثل Chemise وأصلها قميص ، و pastèque
وأصلها بطيخ ، و amiral وأصلها أمير البحر . .

وهنا قلت مع القائلين : وكذلك toilette فمجب الرقاق وقالوا :
فأصلها ؟ قلت أصلها من (التولة) . قالوا : وما التولة ؟ قلت :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرقي والخاتم والتولة شرك »
وجاء في لسان العرب : والتولة (بضم التاء وفتح الواو واللام)
ضرب من الخرز يوضع للسحر أو لتحبيب المرأة زوجها أو هو
ما يحبب المرأة إلى الزوج من الخاتم . وعند صاحب القاموس المحيط
التولة هي السحر أو شبهه في خرزة تحبب معها المرأة إلى زوجها .
وزاد على ذلك رسمها بكسر التاء وسرة أخرى بفتحها مع تسكين
الواو والجمع تولات ، وتال يتول عالج السحر . وفلان ذو تولات
أي ذو لطف وسحر .

أما الكلمة الفرنسية toilette فهي تصغير toile ومعناها « الرينة
أي faire sa toilette » وكذلك « قطعة الأثاث المزودة بكل الأدوات
الخاصة بلوازم الرأس والملبس »

لا عجب إذن في أن تكون الكلمة الفرنسية مأخوذة من
الكلمة العربية ، وورودها في حديث الرسول عليه السلام قبل فتح
الأندلس ، بل قبل الاتساع والاتصال والترجمة في الزمن الديباسي .
والكلمة العربية فضلاً عن ذلك غنية بمشتقاتها فمنها الاسم
والفعل والمفعلة . وجدير بنا أن نعمل على إحيائها وتداولها ، وتلك
الرسالة منوطة بمجلة الرسالة الغراء والمجمع اللغوي الموقر

محمد محمود زيربشور

ذكري صادق عنبر :

حات الذكري الثانية عشرة لوفاة فقيد اللغة والأدب المرحوم
محمد صادق عنبر ، فذرفت عليه ابنته دمة ته اطرت في هذه الأبيات :
أواه من ذكرى إذا هي أقبلت لم تُبق في سكينه وركونا
أواه منها حين تأمر مهجتي فتشير فيها لوعة وشجوننا
يانسة من والد ترك الدنيا أجريت دمعاً كان قبل مصونا



منزل للبيع

للطبيب الفرنسي ألفونس دورر

بقلم الاستاذ أنور لوقا

—•••••

وراء تلك اللقطة الصغيرة المبتذلة المعلقة على باب بيت من البيوت ، قرأ ألفونس دوديه — وهو الذى لقب نفسه « بالكى الصغير » واستلهم اشياء أدبه — هذه المسألة الانسانية المؤثرة .

فوق الباب ، باب خشبي وامى المفاصل ، يدع رمل الحديقة الصغيرة يختلط بتربة الطريق على بسطة من الأرض ، كانت لاقطة معلقة منذ أمد بعيد ، ساكنة فى شمس الصيف ، معذبة تمكوفى ربح الخريف ، عليها « منزل للبيع » ، وأملها كانت تقول أيضا « منزل مهجور » ، فقد كان الضمت يكتنف الدار .

ولكن أمراً كان يقيم هناك . فإن دخانا خفيفاً مزر قابضاً من آجر الدخنة الذى يملو الجدار قليلا ، كان يرم عن حياة خفية ، متكئة ، حزينة كهذا الدخان الذى ينبعث من نار الفقراء . ثم من خلال ألواح الباب المزعزعة ما كنت تحس الإهمال والخواء ، وهذا الجو الذى يسبق ويملأ بيما أو رحيلا ، بل ترى ممرات الحديقة مستقيمة التخطيط ، وعرائش مستديرة مشدبة ، وماقى بجوار الحوض ، وأدوات بستاني مسندة إلى البيت الصغير . لم يكن ذلك الربيع سوى بيت من بيوت الفلاحين ، يتوازن على هذه الأرض المنحدرة بسلم صغير قد نحى الطابق الأول جهة الظل والطابق الأرضى جهة الجنوب . ومن تلك الجهة كان يميل إليك أنه معمل من معامل الإنبسات . فقد رست على درجات السلم نواقيس زجاجية ، وأصص قارعة مقلوقة ، وأخرى منصودة على الرمل الأبيض الساخن قد نما فيها « الجيرانيوم » و « العرفين » بيد أن الحديقة كلها ، فيها عدا شجرتين أو ثلاثاً من شجر السرج الفارع ، كانت تحت وهج الشمس . وكانت تمتد فى النور الساطع

مروحة من أشجار الفاكهة ، قائمة على أسلاك حديدية ، أو مشرقة قد انقربت بعض أوراقها لإعدادا للثمرة ليس غير ، كما اصطفت أيضا أغراس من الشليك وأغراس من الباذلاء

تسلى قضباناً طويلة مثبتة فى الأرض . وفى وسط هذا كله ، وسط هذا النظام وهذا الهدوء ، كان رجل عجوز ، ذوقه من الخوص ، يجوس خلال المسالك طول النهار ، يروى فى الساعات الرطبية ، ويقتطع — وشذب الأغصان ويسوى الأقاريز .

هذا الشيخ لم يكن يعرف أحداً فى البلاد . لم يكن يعطرقه زائر قط . المهم إلا عربة الخياز التى كانت تقف بكل باب فى شارع القرية الوحيد . وأحياناً كان يرى اللقطة عابر من الناس يلتصق قطعة من أراضي السفح هذه الغنية الخصبة التى تمنح بساتين جميلة فيتوقف ليقرع الباب . يقرع فى أول الأمر فإذا البيت أصم . ثم يقرع ثانياً ، فيدون من أقصى الحديقة وقع « قبة باب » فى بطنه وتؤدة ، ويوارب الشيخ بابه وهو متجههم الوجه :

— ماذا تريد ؟

— هل المنزل للبيع ؟

— فيجيب الرجل الطيب القلب فى جهد :

— نعم ... ولكنى أقول لك مقدماً إنهم يطلبون فيه

ثمناً غالياً جداً ...

وكانت يده التأهبة لإغلاق الباب تسده عليك — وكانت عيناه تطردانك ، فما أشد ما كانتا تظهران من سخطه ، وكان يظل هناك قائماً كالفراس على حراسة أحواضه وخضره وفنائه الصغير الفروش بالرمال . وإذا ذاك كان الطارقون يتابعون سبيلهم وهم يسألون أنفسهم من تراء يكون هذا الخبول الذى عرضوا له ؟ وأى جنون هذا الذى يحمله على الإعلان عن بيع منزله بهذه الرغبة الملحة فى الاحتفاظ به .

وأخيراً وضح لى هذا السر . ذات يوم وأنا مار أمام البيت الصغير ، سمعت أصواتاً نائرة ، وصخب مناقشة حامية .

يجب البيع يا أبانا ، يجب البيع . لقد وعدت بذلك وسمعت صوت الأب متهدجاً يقول : إنى يا أولادى لأطالب أفضل من البيع ... أما ترون أنى لقد وضعت اللقطة . وهكذا علمت أن هؤلاء هم أبناؤه وكنابته ، تجار من صغار أصحاب الحوانيت فى باريس ، يحملونه على أن يتخلص

الشيء بأن الحنة ما زالت في نضرتها وربطتها ، ثمار الكرز ،
والبرقوق ، والمشمش ، كان يقول :
لننظر المحصول ... سأبيع بعده مباشرة .

وبعد المحصول ، بعد انقضاء موسم الكرز ، يأتي موسم الخوخ
ثم العنب ، وبعد العنب تأتي ثمار « النيفل » السمراء الجميلة التي
يكاد المرء ينجسها تحت الجليد . وحينئذ يأتي الشتاء ، فيسود الريف
وتحلو الحديقة الآن لا مارة ، ولا شراة ، بل ولا صغار التجار
يوم الأحد ، وإنما ثلاثة أشهر عريضة من الراحة لإعداد البذار ،
وتقليم أشجار الفاكهة ، بينما تتأرجح على الطريق اللافئة الباطلة
وقد قلبها المطر والريح .

وعلى مر الأيام ، فرغ صبر الأبناء واقتنعوا بأن الشيخ كان
يبدل كل مافي وسمه لإقصاء المشتري ، فآخذوا قراراً حاسماً .
قدمت إحدى الكينات واستقرت بجانبه ، وتلك امرأة صغيرة من
نساء الدكاكين ، حالية منذ الصباح ، بارعة في إظهار الحفاوة وتكاف
الركة والتلطف في الجمالة براعة الذين اعتادوا التجارة . وكان
الطريق قد أصبح ملكها . فقد كانت تفتح الباب على مصراعيه ،
وتتحدث وتلفو ، وتبتسم للمارة كأنها تقول لهم :

— أدخلوا ... أنظروا ... إن المنزل للبيم !

ولم تمد للشيخ المسكين مهلة بعد ذلك . أحيانا كان يحاول
أن ينسى أنها هناك ، فينصرف إلى تقليب حياضه وبنرها من
جديد ، كهؤلاء الناس الذين يوشكون على الموت ويحبون القيام
بمشروعات ليخمدوا مخاوفهم . ولكن البائسة كانت تبسمه طيلة
الوقت وتنقص عليه . — دع ! ما انتفاعك بهذا ؟ ... أمن
أجل سواك تجثم نفسك كل هذا التعب ؟ فما كان يجيبها وإنما كان
ينكب على عمله في غناء غريب . إن ترك حديقته لعين الأهل
معناه فقدانها بعض الفقدان منذ ذلك الوقت ، وبدء انفصالها عنها .
ولهذا ما كنت تجد في المرات عودا واحدا من العشب ، ولا في
شجيرات الورد فصنا طقيليا .
وظل البيت معروضا للبيع ، ولكن الشراة لم يتقدموا .

من هذا الركن الحبيب . لأي سبب ؟ هذا ما كنت أجهله . أما
المؤكد فهو أنهم بدأوا يلحسون أن الأمر قد طال وأن الشيخ
يظلمهم . ومنذ ذلك الوقت أقبلوا بانتظام ؛ يوم الأحد من كل أسبوع ،
يستهنون الرجل المسكين ويحنونه على أن ينجز وعده ومن الطريق
في هذا السميت المربض الذي يسود القرية يوم الأحد ، حين تستريح
الأرض ذاتها من كونها قد حرثت وبذرت طوال الأسبوع ،
كنت أسمع ذلك جليا . كان التجار الصغار يتحدثون ، ويتجادلون
فيهم وهم يأمبون لمبة « البرميل » ، وكانت كلمة « النقود »
ترن رنيناً جافاً كهذه الأقراص المعدنية التي يقذفونها . وفي المساء
كان الجميع يرحلون ، وكان الرجل الطيب القلب ، بعد أن يرافقههم
في الطريق يضع خطوات ، يعود مسرعا فيغلن من جديد بابه
الفليظ سميدا مبتهجا ، وقد ظن بمهلة لمدة أسبوع . ويستعيد
البيت سكونه ، ويظل ساكنا ثمانية أيام ، فلا تسمع في الحديقة
الصغيرة التي تلفحها الشمس إلا صوت الرمل يسحقه وطء قدم
ثقيلة أو تجرفه المجرفة .

على أنهم من أسبوع لأسبوع ، راحوا يضيئون الخناق على
الشيخ . ولم يدخر صغار التجار وسيلة من الوسائل . أحضروا
الأحقاد لإغرائه : « أترى يا جدنا ، حين يباع البيت ستأتي لتسكن
معنا . وكم ستكون سعيدين معا ! ... » ثم كانت أحاديث مفردة
يلقيها كل امرئ لنفسه في ركن من أركان البيت على حدة ،
وسير خلال ممرات الحديقة لا يقف عند حد ، ومساائل حساية
يجربها صوت مرتفع . ومرة سمت إحدى البنات تصيح :
— هذا الخوص لا يساوي مائة دنانق ... إنه خليف بأن يهدم .

وكان الشيخ يصني دون أن يقول شيئا . كانوا هم يتكلمون
عنه كأنه قد مات ، وعن داره كأنها قد هدمت بالفعل . فكان
يتجنبهم ويمشي ، أحذب الظاهر ، والدموع ملء عينيه ، ملتصقا
كمادته غصنا يشد به أو تمرعة يعنى بها أثناء مروره . وإنك لتحصي
أن حياته قد تفلخت جذورها في هذا الركن الصغير من الأرض
تفانلان يبيت فيه القدرة على اجتثاث نفسه منه . والحق أنه كان
مهما اقتنوا في إغرائه ، يرجى دائما لحظة الرحيل . في الصيف ،
حين تنضج هذه الثمار التي يوحى إليك مذاقها الحامض بعض

وحدة البستان المعجوز في ظهره ، هاتما في خور دكان ما ، ضيقا
بأمره ، حبيبا ، مشحونا بالدموع ، بينا تنبوا زرجة ابنه الظافرة خزانة
جديدة ، ترف فيها قطع ذهبية هي ثمن البيت الصغير .

أنور لوفنا

وراره النصحة العمومية

تقبل عطاءات بمكانب حضرات أطباء أول
المستشفيات الآتية لغاية الساعة الثانية
عشر ظهر يوم ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٠
لتوريد الأغذية اللازمة لهذه المستشفيات
لعام ١٩٥٠ - ١٩٥١ وهي :

الانكاستوما رقم ٢٢ بالجيزة - السياط
الواسطى - إسطا فيوم - مفاغة -
الفكرية - سمالوط - بنى مزار -
البليسا - قوص - عثيبة - القصير -
شبرا الخيمة - أجا - - إنشاص -
دسوق - الطيبة بنجروه - فوه -
الرمد والانكاستوما بابى كبير شرقية -
الانكاستوما - ٤٠ بديرب نجم - زاوية
الناعورة - تلا - الانكاستوما ٣٩
بطوخ - الانكاستوما ٢٤ باتياى البارود
شبين القناطر .

وتطلب قوائم الناقصات من المستشفيات
نفسها على ورقة تممة فئة ثلاثين مليا
ونحن كل قائمة ٢٥٠ مليا للنسخة الواحدة
مضافا إلى ذلك مبلغ ثلاثين مليا
أجرة البريد .

٤٢٤٩

ذلك أن الحرب قد نشبت . وعينا تابرت المرأة على فتح بابها
 وإرسال النظرات الموهلة إلى الطريق ، فلم يكن يمر غير النازحين
 من الأرض ولم يكن يدخل إلا الغبار . واشتد غيظ السيدة من
 يوم إلى يوم ، لاسيما وقد كانت أعمالها في باريس تستدعيها .
 كذت أسمها توسع حياها لوما وتأنيا ، وتقسو في الهجوم عليه
 ونحبط الأبواب ، وأما الشيخ فكان يحى ظهره دون أن يقول
 شيئا ، ويتعزى إذ يبصر بازلاؤه الصغيرة تنمو ، واللافتة معلقة
 في مكانها دائما : « منزل للبيع » .

وفي هذا المالم ، عندما وصلت إلى الريف ، وجدت المنزل
 وعرفته . ولكن واحسرتاه لم تكن اللافتة هناك . كانت إعلانات
 ممزقة بالية لم تبرح عالقة بأوجه الجدران . لقد قضى الأمر ،
 وباعوه . . . وفي مكان البوابة الرمادية الكبيرة أصبح باب
 أخضر ، حديث الطلاء ، تملوه عتبة مستديرة ، وتفتح فيه نافذة
 ذات قضبان ، تلوح من ورائها الحديقة . ولم تعد الحديقة
 ذلك البستان الذى كذت أعينه هناك قديما ، بل غدت خليطا
 (بور جرازيا) من السلال ، والخضرة ، ومساقط الماء ، وصورة
 لهذا كله تنمكس على كرة معدنية تتأرجح أمام الدرج . وفي هذه
 الكرة ، بدت المرات صفوفا من الأزهار الزاهية ، وامتد شكلان
 في كثير من المبالغة والهويل ، رجل سمين أحمر ، غارق في عرق
 غزير ، غائص في كرسي من كراسي الزهرة الخلوة ؛ وسيدة ضخمة
 لاهثة الأنفاس ، تصبح وهي تطوح مسقة بيدها .

- لقد دفعت ثمننا للبسمين أربعة عشر ا

وكانوا قد شيدوا طابقا ، وجددوا السياج ، وفي هذا الركن
 الصغير المستطرف ، الذى مازالت نفوح منه رائحة الطلاء ، كان
 (بيانو) يعزف ملء الريح مقطوعات صاخبة مبتذلة وألحانا جذلة
 مما تردد جليات الرقص العامة . وهذه الأنغام الراقصة التى كانت
 تنطلق إلى الطريق : اوضة حارة ، مختلطة بقتام يوليه الكتيب ،
 وعجيج تلك الأزهار الضخمة ، والسيدات الضخمة ، هذا المرح
 النامر الفياض ، هذا المرح السوقى البتذل ، كان يقبض قلبي .
 كنت أفكر في الشيخ المسكين الذى كان يتمشى هنا راضيا
 وادعا سميدا ، ثم أتخلة في باريس ، وقبعة الخوص على رأسه ،



دعبل الخزاعي

تأليف السير محسن الأمين
للاستاذ إبراهيم الوائلي

ليس من شك في أن دعبل الخزاعي من أشهر شعراء القرنين الثاني والثالث للهجرة فقد تطرق في نظمته إلى مختلف المواضيع وتعرض بشعره إلى كثير من الأشخاص، وعرض نفسه إلى شتى المخاطر حتى انتهت حياته إلى الاغتيال وهو بميد عن أهله ووطنه.

ولقد نظر مؤرخو الآداب إلى هذا الشاعر من زاوية القاييس العامة التي حددوها بها الشعر القديم فسموه شاعراً هجاء مقذغاً في هجائه وشاركهم في الرأي بعض المؤرخين المحدثين، ولكننا حين ننظر إلى هذا الشاعر نظرة فيها شيء من العمق والتحليل نستطيع أن نسميه شاعراً سياسياً وإن يكن في شعره ما يسمى هجاء بالمعنى الدقيق لأن بعض الذين تتناولهم ليس له خطر في المجتمع.

وليس من شك في أن شعر دعبل يمثل حياته المضطربة ونفسه الثائرة ونوازع المذهبية التي دفعت به إلى كثير من المخاطر، وما تعرض به للخلفاء العباسيين يمثل صفحة كبيرة من الشعر السياسي المارم في العصر العباسي الأول وليست السياسة بأكثر من أن يتعرض الرشيد وأولاده وأحفاده ويتناولهم تناولاً شديداً الوقع على أنفسهم حتى أغضبهم واتق منهم الجفوة والمنت كما اتق منهم الخطوة والتكريم، بقربه الرشيد ويرفع من مغزاه فينال بهد موته، ويصفع عنه المأمون فيقابل هذا الصفح بالتمرد والظلم، ويشنع على أبي عباد وزير المأمون فلا يجد منه غير الصكوت، ويسخر إبراهيم بن المهدي أشد السخرية ويتندر بالأميين والمعتصم، ويفضض التوكل فلا يسلم منه إلا بالحرب، ويتجاوزهم إلى غيرهم من ذوي المكافئ في المجتمع حتى نمته مؤرخو الآداب بنموت شتى من سلاطة اللسان وإغشاش الكلام وأقذاع المعجوة، وكل هذه

النموت التي وصفوها بها الشاعر مردها إلى تلك النظرة السطحية التي لم تنوغل إلى دخيلة القلب ولم تتمق في مطاوي النفس، مع أن الأمر أبسر مما تصوروه في هذا الشاعر. ولو أنهم أرجعوا هذه الثورة إلى منابها الأصلية ودوافعها الذاتية لأنصفوا الشاعر وأعطوه نصيبه من الدراسة المتينة وأعادوا من شعره في تاريخ الأدب السياسي، وما هذه النايغ والدوافع إلا عقيدة الشاعر ومذهبه؛ فقد كان دعبل ممن يوالون آل علي ويتمصبون لهم، وقد مدح أحياءهم مدحاً أقوى العاطفة والإحساس، وبكى شهداءهم بكاءً سخى الدموع شديد الحزن، وكان من البدعي أن يقف الشاعر من خصومهم موقفاً لا يرضى الخصوم وأن يتمصب لأوليائه ويدافع عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فالرشيد قد آذى الإمام الرضا وسجنه وهو من أئمة دعبل، والمأمون يبيع الرضا بولاية العهد ثم ينكل عن هذه البينة، والتوكل يفضض الشيعة ويطاردهم حتى في ضريح الإمام الحسين، وإبراهيم بن المهدي يبايعه الناس في بغداد عناداً للمأمون في موقعة الأول من الإمام الرضا، وإبراهيم هو من هو في لموه وعجونه، وأبو عباد وزير المأمون كان شرس الخلق جافي الطبع. إن من الحق لدعبل - وهو يتولى آل علي - أن يتصف لهم ويدافع عنهم ويتندد بخصومهم ولو ناله ما ناله من الأذى والتشريد لأن هذا جزء من عقيدته الدينية ومذهبه. وليس بغريب عليه أن يتمصب لعقيدته ومذهبه ما دام يجد في هذا التمصب لقائه الروحية واطمئنانه النفسي، وما دام يرى آل علي أصلح من غيرهم لرعاية دينه وعقيدته وأولى بالحكم من سواهم.

هذه النقطة الدقيقة في تاريخ هذا الشاعر وجدنا منها لمحة عابرة في كتاب «دعبل الخزاعي» لمباحة العلامة السيد محسن الأمين وهو كتيب صغير ألف في الأيام القريبة وطبع في دمشق. وكنا نود أن تكون هذه النقطة موضع عناية المؤلف الجليل ولكن لم يفعل ذلك جرباً مع عادته في التأليف إذ أنه يعني بالترجمة وجمع ما تفرق من أخبار المترجم له وتتبج حياته الأدبية والمادية إذا كان للثانية سلة بالأولى دون إطالة في التحليل أو عمق في الدراسة، على أنه لا ينسى أن يعحص الأخبار التي ينقلها عن حياة الشاعر ويطرح الزائف منها وينقد المشكوك فيه ويقارن ويوازن وكثيراً

النساء ، وإما بالاعتماد على الحوادث الضخمة المثيرة ، وإن كانت في صميمها فارغة من المعاني والدلالات ؛ ولكن هؤلاء لا يفهمون فن القصة ، ولا يعرفون رسالتها الفنية ، وإنما يعرفون ويضخمون شيئاً واحداً هو اكتساب الشهرة الزائفة ، بتعلق غرائز الجماهير

أما الأستاذ حسن محمود ، فإنه يعنى في قصصه أول ما يعنى ، بإبراز الأثر الداخلي الذى تمكسه الحوادث الخارجية في نفوس شخصيات ، فالإدراك لا يعتمد على الآراء ، ولكن لأثرها النفسى ، ومن ثم تكون الحادثة الصغيرة لها حظ كبير ، لأنه يعرف كيف يستلهم منها المعاني الكبيرة ، وكيف يستخرج منها الدلائل العميقة ، وهذه هي القدرة ، وتلك هي البراعة . وشيء آخر يتصل بذلك ، هو أن الأستاذ حين رسم شخصياته لا يعتمد في ذلك على الألفاظ وحدها يسرد بها أوصاف تلك الشخصيات مردأً متتابعاً ، كما يفعل بعض كتاب القصة عندنا ، ولكنه يوزع لمساته التصويرية على أجزاء القصة كلها ؛ ليتسنى له استخدام الحوادث في الرسم والتصوير ، فلا ينتهى من القصة حتى تكون شخصياتها قد استوفت حظها من دقة التصوير ، وبلغت قسطها من قوة الحياة .

وقد قلنا إن الأستاذ حسن محمود لا يعتمد في إثارة قارئه على الحوادث الضخمة المثيرة ؛ وزيد هنا أن مادة قصصه لهذا السبب تمتاز في مجموعها بالبساطة والعمق ؛ لأنه يتناول الحادثة البسيطة في مظهرها الخارجي ، فيتمتعها بفكره وروحه وتجاربه ، ثم يمرضها لنا ، فنرى فيها ما لم نكن نرى ، ونفهم عنها ما لم نكن نفهم ، فهو من أولئك الملهمين الذين يلتقطون الفتات المتناثرة من مائدة الحياة ، فيحيلونه بفهم أعظم غذاء للنفس الانسانية ، في حياتها المثالية الرفيعة !

وأسلوب الأستاذ في قصصه ، يلائم مادة هذه القصص كل الملازمة ؛ فهو مثلها بسيط عميق ، ينساب كالما في رقة ودعة ، لا من خحولة مجراه ، ولكن من طبيعة مسراه ، فلا ترى فيه المبارات الطنانية ، والكلمات الضخمة ، وإنما هي كلمات طبيعية يؤلف بينها في حذق وبراعة ، فإذا هي عميقة الدلالة ، قوية الإيحاء ، وافرة الأنتام والأصداء ، والأنواء والظلال !

وكثيراً ما يستنبط من الخبر الواحد فوائد كثيرة تدل على ميله إلى التحليل والتسوق ، ولكنه ميل قليل بالنسبة لطريقته العامة التي أشرنا إليها والتي تجعلنا في هذا الكتيب الصغير الذى جمع فيه معظم ما تحدث به المؤرخون عن دعيل الخزامى وعن مواقفه من الخلفاء وصلته بهم ومقدار مآظفر به من إطراره وتدو به بشاعريته . ثم علاقته بأكل على ومدحه لإمام . وفي الكتاب منتخبات كثيرة من شعر دعيل في المديح وفي السياسة ، وقصيدته الثابتة المشهورة في آل البيت التي يمدحهم بها ويستعرض مصارع الشهداء منهم استعراضاً حزيناً باكياً وغير ذلك من المقطوعات .

وأمل هذا الكتاب عمل ضئيل بالنسبة لما أنتجه سماحة السيد الأمين من كتب وموسوعات في الأدب والشعر إلى جانبه كتبه الدلية النافعة .

إبراهيم الوائلي

أجواء

تأليف الأستاذ حسن محمود

للاستاذ إبراهيم محمد نجما

كتاب صغير الحجم ، قليل الثمن ، ولكنه على صغر حجمه ، وقلة ثمنه ، يجمع بين القيمة الفنية الكاملة ، والمتاع النفسى الوفير . ومؤلف هذا الكتاب هو الأستاذ حسن محمود ، وهو كاتب قصصى من طراز رفيع ، يعمل للمجد الأدنى ، دون أن يحفل بالشهرة الزائفة ، ولذلك يعنى كل العناية بجودة إنتاجه وإتقانه ، لا بكثرته والاسراع فيه .

وهذا الكتاب يضم طائفة من الأقاصيص ذات أجواء مختلفة بعضها يمثل الحياة المصرية التي يعرفها الأستاذ عن خبرة وتجربة ، وبعضها الآخر يمثل الحياة الأوروبية التي ألم بها في رحلاته وأسفاره ، وإن كانت هذه الأجواء المختلفة تتفق في أنها تصور النفس البشرية في إطارها من الحياة الانسانية العامة .

وكثيرون من كتاب القصة المصرية يهدفون في قصصهم إلى إثارة القارئ إثارة حسية ، إما بالاكثار من وصف أجساد

على أن يكلمها بأية وسيلة ، ولستأنا نريد أن نقص كيف بدأ الحديث فان حسينا لا يذكر كيف كان ذلك ، ونحن لانود أن نقص سرها ، ولكننا نقول أننا رأيناها يسيران جنباً إلى جنب ، ثم كانا بعد نصف ساعة في سيارة تسير بهما سريعاً إلى حيث مسكن الفتاة . وهذا غاية في حسن الأيجاز ، وبراعة التخلّص .

وللاستاذ حسن محمودة ملاحظات صائبة ، ينثرها في خلال قصصه وهي ملاحظات تم عن تجارب كثيرة ، وثقافة واسعة ، وفهم عميق للحياة .

أما بعد ، فقد حلفت في هذه الأجواء حيناً من الزمن ، فأتاح لي ذلك لذة روحية عميقة ، ومتمعة نفسية كاملة ، فمن واجبي أن أوجه إلى صاحب هذه الأجواء ، شكري الخالص لما أتاح لي ، ومن واجبي كذلك أن أعبّر له عن تقديري الصادق لمقدرته الفنية . وأنا أعلم أنه لن يرضى عما كتبت عنه ، تواضعاً منه وحياء ؛ فقد عرفته جم التواضع ، وافر الحياء . ولكن ما ذنبي أنا ، وما كتبته هو الحق والحق يبني أن يقال ؟

ابراهيم محمد نجما

والأستاذ هادي الشخصية ، كما يبدو من خلال أسلوبه ، وطريقة عرضه لقصصه ، هادي حتى حين يريد أن يسخر من بعض الناس سخيرة خفية مبطنة ، فتراه يفعل ذلك في شيء أقرب إلى الحياء ، وبصورة لبقة مهذبة . قد تثير الضحك ، ولكنهما على كل حال لا تخرج الاحساس

وهو هادي أيضاً حين يلمس في قصصه أحزان الناس ومآسهم ، وليس ذلك من قلة تأثر بها ، ولكن لأنه من أولئك الذين يحزون في صمت ، فيكون صمهم أبلغ من كل كلام حزين ! وصراخ الانسان قد يثير الفضول أكثر مما يثير الرثاء والاشفاق ، ولكن دمة واحدة تذرفها عين محزون ، في صمت وسكون ، تهز النفوس ، وتثير الدموع !

وهو حين يسجل الانفعالات النفسية لشخصية إنسانية ، يحيطها بما يلائمها من الأجواء والمشهد ، فيكون ذلك منها بمنزلة الاطار من الصورة . يتجلى ذلك في قصته « نظرة إلى شاعر » . ففي هذه القصة تراه يرصد الانفعالات النفسية كما تظهر في شخصية شاعر ركب معه القطار الذاهب من مدينة « بون » الألمانية ، إلى « كوبلنز » ، ويسجل مع هذه الانفعالات المختلفة ، ما يطرأ على مشاهد الطبيعة من تغير واختلاف ، بحيث يجعل من ذلك كله وحدة متناسقة .

وهو ينتقل بشخصياته من جو إلى جو ، ومن حال إلى حال ، بعد أن تمهد لذلك تمهيداً مناسباً ، بحيث يبدو هذا الانتقال طبيعياً ممكناً ، لا أثر فيه للتكلف والاستعالة ، وهو يقتصد في طريقة عرضه ، بحيث يتجنب الحوائث والفضول ، كما يقتصد في تسيره بحيث يخلص في لباقة من الكلام المكرر المألوف إن لم يكن منه بد في موضع من مواضع القصة ؛ ففي قصة « قسم » نرى حسينا يسير بعد الغروب في طريق مهجورة ، ثم يتنبه فجأة لوقع أقدام نطأ الأرض بخفة ، فيلفت وراده ، فإذا فتاة مصرية غضة الشباب هيفاء القوام تسير مثله في هذه الطريق ... فلأن قصصاً آخر عرض لثل هذا الموقف في قصة من قصصه ، لاستغله كما يشاء ، في كلام كثير ، وحوار طويل بشير الحس ، وينبه القرائ .

ولكن الأستاذ حسن محمود يكتفي في هذا الموضع بأن يقول : اوثاكت نفس حسين لنظر هذه الفتاة ، فسار إلى أن حاذها حازماً

احمد حسن الزيات

يقدم

تاريخ الادب العربي

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى هذا العصر بأسلوب قوى ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل ، واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى .

طبع عشر مرات في ٥٢٥ صفحة

وتمه أوبون قرشاً بعداً أجرة البريد